مجلة الإسلام والتصوف

اقرأ فى هذا العدد للأساتذة

الدكتور محمد مصطفى حلى	الأستاذ حسن كامل الملطاوى
« محمد يوسف موسى	« أبو الوفا التفتازانى
« عبد الحليم محمود	« حسنى طه شكيبان
« مصطفى كمال وصفى	« محمود شلبى
« محمد خلف الله احمد	« فوزى عرفه
« محمد وصفى	« عبد المنصف محمود
الأستاذ محمد لبيب البوهى	« محمد محمود علوان

الأستاذ طه عبد الباقى سرور

مع الأبواب الثابتة : ندوة المجلة . قصص صوفى

منهج التصوف . أخبار صوفية

العدد الحادى عشر — السنة الثانية

الثمن ٥ قروش

صاحب المجلة
محمد محمود علوان
شيخ مشايخ الطرق الصوفية

رئيس التحرير
محمد صبيح

سكرتير التحرير
طه عبد الباقي سرور

مجلة
الإسلام والتصوف

مجلة أسبوعية تصدر شهرية موقتا
تصدر عن مشيخة الطرق الصوفية

"ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون"

الاشتراك
٦٠
في الجمهورية العربية المتحدة
٥
ثمن العدد
العنوان
مشيخة الطرق الصوفية
بميدان سيدنا الحسين
القاهرة
تليفون ٥١٣٩٣

العدد الحادي عشر « السنة الثانية » : ٤ شوال عام ١٣٧٩ هـ الموافق أول إبريل ١٩٦٠

بسم الله الرحمن الرحيم

عيد الإيمان والجهاد

لسماحة السيد الأستاذ محمد محمود علوان

يرى هذا العدد من مجلة « الإسلام والتصوف » النور مع خطو أيام العيد عيد الأمة الإسلامية ، التي صامت لربها شهراً كاملا ، أمسكت فيه عن طعامها وشرابها وشهواتها وخواطرها ، وما تصطرع فيه من شئون دنياها ،

وانطلقت في رحلة سماوية ملائكية ، لتعيش مع الملأ الأعلى ، أياماً معدودات تسبح ربها ، وتقدس له مع مطلع النهار ، وتسبح ربها وتقدس له مع غروب الشمس ، وتسبح ربها وتقدس له طوال ليلها .

إنه الجهاد المنتصر ، الذى يرتفع فيه الإنسان فوق كل فتنة ، وفوق كل شهوة ، وفوق كل ثروة .

الجهاد الذى يرتفع فيه الإنسان فوق نفسه ، وفوق جسده ، لينطلق روحا محلقاً فى الملكوت الأعلى ، يقتات بالنور ويعب من الجلال ، ويتذوق لذة الأنس والقرب والمناجاة وما يلهم الأنس والقرب والمناجاة .

إنه لجهاد يجعل الإنسان قريباً من قرب روح وحس وشعور ، ومن قرب من الله بحسه وروحه وشعوره ، تربت يداه ، بالتوفيق وبالقوة وبالعزة وبالنصر فى كل ميدان من ميادين الحياة

ومن هنا عرف شهر رمضان فى التاريخ بأنه شهر الانتصارات الإسلامية الكبرى .

ومن مواقف التاريخ ، ومن مواقف العقول أيضاً ، أن فجر القوة الإسلامية إنما أشرقت أنواره فى رمضان .

هناك فى بدر ، فى ١٧ من رمضان يوم الفرقان ، يوم التقى الجمعان . هناك فى بدر حطمت سيوف المسلمين أكبر دولة للشرك فى التاريخ ، وهناك فى بدر لمعت سيوف المسلمين وأضاءت وشعت نوراً على هداه وعلى خطوه كانت الفتوحات الإسلامية كافة ، ومن أسوار الصين إلى قلب أوروبا .

وفى رمضان كان يوم الفتح ، فتح مكة ، « إذا جاء نصر الله والفتح ، ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا ، فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً » .

لقد سلمت مكة عاصمة الشرك التاريخية للقوة الإسلامية النامية ، سلمت فى ٢٠ رمضان ، فكانت بدر فجر الجزيرة العربية الإسلامية ، وكان يوم الفتح يوم ضحاها .

ثم مشت الحكمة والعبرة الملهمة ، مشت معجزة شهر رمضان مع التاريخ ، فشهد هذا الشهر يوم القادسية ، وفيه دالت دولة كسرى ، وشهد هذا الشهر فتح الأندلس ، ثم مشى مع التاريخ حتى أطل بوجهه المشرق فى موقعة . حطين ، يوم هزم صلاح الدين أوربا مجتمعة .

إنها عبرة التاريخ وسره الكبير ، رمضان شهر النصر والفتح ، لأنه شهر الطاعة والعبادة ، شهر القرآن والفرقان.

فكلما دنونا من الطاعة دنونا من النصر ، وكلما قربنا من القرآن قربنا من الفتح .

لقد انتصر المسلم على نفسه فى شهر رمضان نصره الكبير ، وبانتصاره على نفسه ، أعطيت له مفاتيح الأرض ، ومفاتيح النصر .

وإننا اليوم ونحن نواجه الدنيا ، ونبنى دولتنا الكبرى ، ونجمع شمل أمتنا العربية العظمى ، أحوج ما نكون إلى هذا الدرس التاريخى ، وهذا السر القرآنى .

فلنجعل الله سبحانه فى قلوبنا ، ولنراقبه جل جلاله فى أعمالنا ، ولنصعد بخواطرنا وآمالنا إلى ساحته ، ولنسأله من خيره ، ومن عطاياه ، ومن رحمته ومن نصره ، وما النصر إلا من عند الله .

إيه يا شهر الجهاد ، تلك خواطرك ونحن نودعك ونستقبل العيد .

نستقبله خاشعين ضارعين إلى ربنا ، أن يجعله عيداً سعيداً مباركا فيه للناس كافة .

وأن يفيض فيه على أمتنا الاسلامية العربية هداه ورضاه ونصره الأعز الأكرم .

وأن يشمل زعيمنا المجاهد الرئيس جمال عبد الناصر بنصره وعونه وتوفيقه . إنه سبحانه بيده الخير ، وفى كلماته الهدى وفى رضاه العزة والنصر .

والله أكبر والعاقبة للتقوى

أوعية الفقه

خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

« نضر الله عبدا سمع مقالتى فوعاها ، ثم أداها إلى من لم يسمعها ، فرب حامل فقه لا فقه له ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه » .

الأفق الصوفى

والحياة الروحية فى رمضان

بقلم الأستاذ
طه عبد الباقى سرور

تلك هى الكلمة التى افتتح بهـا سيادته محاضرات شهر رمضان بسرادق مشيخة الطرق الصوفية .

أيها السادة :

أحب أن أطوف معكم فى تلك الليلة الرمضانية المشرقة فى جولة ، حول التصوف وحول منهجه ، وحول أهدافه ورسالته .

وبين التصوف وبين الصيام صلة لا تنقطع ولا تنفصم أبدا . . . وكما اقترن شهر رمضان بالقرآن ، ، فهو يقترن أيضا بالتصوف . . . وإذا كان المسلم يأخذ نفسه فى رمضان بالعزيمة وبالإرادة وبالمراقبة وبالمجاهدة ويحاول ما استطاع أن يرتفع فى يومه وفى ليله إلى مقام الإحسان ليعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإنه يراه .

إذا كان المسلم العادى يفعل ذلك فى رمضان . فإن الصوفى أيها السادة فى رمضان دائم .

أترون كيف يكون المسلم الصائم العابد المسبح المتهجد الذى يعيش ليله ونهاره فى المراقبة والمحاسبة ومراعاة الأنفاس وضبط الحواس .

أترون هذه الصفات ، صفات الصائمين المثاليين إنها أيها السادة . . . بعض صفات الصوفى ، بعض صفاته الدائمة الملازمة التى لا تفارقه أبدا .

فالتصوف . . هو الكمال فى الدين والدنيا هو استهداف المثل الأعلى فى كل أمر من أمور الدين والدنيا ، هو التطلع إلى أفق أبهى وأسمى مما اصطلح عليه الناس .

فالمتصوفة يمشون فى فهمهم لتعاليم دينهم ، وفى فهمهم لمثاليات الحياة خطوات

أبعد مما يخطوا سواهم ، ويرتفعون فى فهمهم ارتفاعا أعلى مما تحلق فيه أجنحة غيرهم .

فإذا تحدث الناس ، عن الصدق أو عن الأمانة مثلا ، مشى الصوفية بمعناهما إلى أفق أعلى من كل أفق فكر فيه غيرهم ، حتى ليتحدثون عن الصدق فى همسات النفس وخفايا الصدور ، وعن الأمانة فى لحة العين وخاطرة الفكر .

وفى الصلاة وفى الصيام وفى الزكاة ، يمشى الصوفية أميالا أبعد مما يمشى سواهم .

سأل الإمام مالك ، شيبان الراعى عن قيمة القدر المخصص للزكاة فى مائة من الأبل .

فقال شيبان عندنا أم عندكم ؟ قال مالك : وهل هناك ما يقال له عندنا وعندكم ؟ فقال شيبان الصوفى : نعم ! ! عندكم فى كل مائة خمسة ، وعندنا نبذل المائة .

وقال صوفى لرجل من رجال الحديث : إننى أطالبك بزكاة الحديث ، قال : وما زكاة الحديث ؟ قال : أن تفعل وأن تتخلق بخمس أحاديث من كل مائة تحفظها .

هذا مثال أيها السادة يصور لنا الفروق الدقيقة بين المنهج الصوفى الأخلاقى العملى وبين غيره من المناهج الإسلامية النظرية ،

وفى المعانى النفسية والوجدانية أيضاً ، يرتفع الصوفية فى الفهم ارتفاعا لا يطاولهم فيه غيرهم .

فإذا تحدث الناس عن الحرية مثلا تحدثوا ، عن حرية التعبير وحرية الرأى وحرية التفكير .

ويأتى الصوفية فيضيفون إلى هذه المعانى الخاصة بهم ، الخاصة بأفقهم العالى وبمثالياتهم الرفيعة .

يقول الإمام سهل بن عبد الله التسترى : الحرية هى حرية القلب ، فليس بحر من استعبدته شهواته ، واسترقته نزواته وملكته أهواؤه : وصدق رسول الله ، « تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم ، تعس عبد القطيفة » .

فالحرية عند المتصوفة ، هى حرية شاملة ، فليس بحر من استعبدت أوطانه ، أو هانت عقيدته أو ذلت مبادئه .

ورضى الله عن الإمام معروف الكرخى إذ يقول : الأحرار هم الذين يقولون لا إله إلا الله ويتذوقونها .

لا إله إلا الله ، فلا خضوع لظالم ، ولا رهبة من مستبد ولا ذل أمام قوة من قوى الأرض .

يقول الإمام الشعرانى فى عزة المؤمن : لو انفض الناس جميعا من حولى ، واهتزت شعرة منى فقد كفرت بالله .

ويقول أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فى غطرسة الملك لابن البيطار الصوفى : أنا عبدالملك فارفع حوائجك إلىّ .

فيقول له ابن البيطار فى عزة المتصوف الأبى : وأنا أيضا عبد الملك فهلم نرفع حوائجنا إلى من أنا وأنت له عبدان .

ويقول أبوحازم الصوفى : إنما بينى وبين الملوك يوم واحد ، أما أمس . . فلا يحدون لذته ، وأنا وهم من غد على وجل ، وإنما هو اليوم . . فما عسى أن يكون اليوم .

ويقول إبراهيم بن أدهم : نحن فى لذة لو عرفها الملوك لجالدونا عليها بالسيوف.

وسر هذه القوة ، وهذه العزة . وهذه الحرية العريضة أيها السادة . . أن الصوفى قد صعد فوق دنياه وارتبط ارتباطا مباشرا بالله سبحانه وتعالى .

ومن هنا كانت .. تلك العظمة النفسية الشامخة التى امتاز بها المتصوفة جميعا .

لقد تحرروا من كل شىء . وارتفعوا فوق كل شىء لأنهم عبدوا الله . . وذاقوا لذة العبادة ولذة القرب والوجد والأنس .

لقد أضاءوا مصابيح الباطن فشاهدوا على أنوارها ، مالا تراه إلا عيونهم .

يقول القطب على الخواص . أنت عبد لما تشتهى . وعبد من تخاف وعبد من تطمع فيه . فمن ارتفع فوق الاشتهاء والخوف والطمع . أصبح عبد الله .

ويمر الإمام الجنيد على رجل فيراه مهموما مكروبا . فيبتسم له ويقول : يا أخى: أتخشى أن ينقص من أجلك ساعة . قال كلا .. قال : أيفوتك رزق قدره الله لك . قال كلا ... قال أيحدث لك شىء لم يقدره الله لك قال كلا ... قال فعلام الهم والحزن ؟!!

هذا الذوق الصوفى . وهذا الإيمان الصوفى : هو الذى أوجد فى الأفق الصوفى هؤلاء الأعلام الهداة الذين قادوا الإنسانية إلى الله ... وإلى الكمال وإلى عز الدنيا وعز الآخرة .

وهذا الذوق الباطنى ، وهذا الفهم العالى ، هو الذى شكل التراث الثقافى الصوفى ، وجعله الوجه المضىء للفكر الإسلامى العالمى .

هو الذى أمد الثقافة الإسلامية ... بتلك الينابيع العذبة ... الدافقة ... من العلوم والمعارف ، والأذواق والإلهامات الصوفية .

ونضرب الأمثال .

يقول الله سبحانه وتعالى : « وأعدو لهم ما استطعتم من قوة ... ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

يفهم الناس من هذه الآية : أن المراد بالقوة . هو عدة الحرب المتطورة ... سواء كانت خيلا وسيوفا ، أو طائرات وأساطيل ... ويفهم الصوفية ما يفهم الناس ... ثم يمشون خطوات إلى أفقهم ، فيضيفون إلى عدة السلاح قوى الروح وعدة الإيمان ، وسلاح الطاعة والعبادة .

ومثل آخر ... إذا بذل الناس من عونهم للناس باعتبار أن هذا البذل من مكارم الأخلاق وأدب النفس وواجبات الإنسانية .

جاء المتصوفة فمشوا خطوات إلى أبعد وصعدوا درجات إلى أعلى .

يقول حجة الإسلام الإمام الغزالى .

« إن الإنسان ليس عليه أن يساعد الإنسان والحيوان فحسب ، بل عليه أن يمد يده بالخير إلى كل شىء فى الوجود .

فيساعد النبات فى نموه ، والماء فى جريانه فيزيل العقبات من أمام هذا وذاك

هذا هو التصوف أيها السادة .

إنسانية رفيعة . وعبادة وطاعة . وحب يشمل كل شىء فى الوجود .

وتصعيد لكل عمل إلى الله وتفوق ايمانى ، وكمال خلقى ، وعمل إيجابى ، وطهارة قلبية وعزة وحرية ، وتفوق وسيادة ووحدة وأخوة ، ومحبة ورحمة ، وجلال يمشى فى مواكب من نور الله ومن رضاه ومن هداه .

أجل أيها الصوفية: أنتم كما يقول السيد المسيح: ملح هذه الأرض : وفى أعناقكم الرسالة التى حملها الأنبياء كافة .

فارفعوا أعلامكم ، واملأوا الدنيا . ذكرا وتسبيحا وإيمانا ويقينا .

وانشروا نوركم لتمسحوا عن وجه الدنيا غبار هذه الوثنية المادية الطاغية .

إنكم إن تفعلوا تنصروا الله وتعزوا كتابه وتنقذوا الإنسانية من هول ما أعدلها شياطين الإنس والجن .

وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين .

احتفال مشيخة الطرق الصوفيه

بشهر رمضان المبارك

احتفلت مشيخة الطرق الصوفية بإحياء ليالى شهر رمضان المبارك فأقامت سرادقا كبيراً بميدان سيدنا الحسين كان مثابة للناس وأمنا ومزارا وملتقى طوال ليالى شهر رمضان .

بل أصبح هذا السرادق الكبير من معالم القاهرة فى الشهر الكريم الحبيب يقصده المؤمنون من كل مكان ويلتقى فيه رجال العلم والدين والأدب ويجتمع فيه أبناء العروبة من كل قطر فيجد كلٌ عند أخيه المودة والأخوة والوحدة الفكرية والقلبية والإيمانية .

وقد وجه سماحة السيد محمد محمود علوان شيخ مشايخ الطرق الصوفية الدعوة إلى سفراء الدول العربية والإسلامية وإلى كبار رجال العروبة والإسلام ليسهموا فى إحياء ليالى التصوف الكبرى بسماع آى الذكر الحكيم وحضور مجالس الذكر وسماع المحاضرات الدينية والثقافية . .

وبذلك تحول السرادق الكبير فى كل ليلة إلى مؤتمر إسلامى عربى عام فضلا عن حلقات الذكر وندوات العلم وأروقة القرآن .

وفى تمام الساعة التاسعة من مساء كل ليلة كانت تأتى طريقة من الطرق بأعلامها وأناشيدها لتحى الليلة الخاصة بها طبقا للبرنامج الآتى .

برنامج

احتفال مشيخة الطرق الصوفية بليالى رمضان المعظم عام ١٣٧٩ هـ

اليوم	الافتتاح	مجلس ذكر	شيخ الطريقة	المحاضر
الخميس ٦ رمضان	قرآن كريم	طريقة السادة الحامدية الشاذلية	السيد ابراهيم سلامة الراضى	الدكتور محمد مصطفى حلمى
الجمعة ٧	»	» » البرهامية	» محمد محمد عاشور	الأستاذ أبو الوفا التفتازانى
السبت ٨	»	» » الرفاعية	» محمود كامل يس	الدكتور مصطفى كمال وصفى
الأحد ٩	»	» » البيومية	» محمود أحمد فضل	الأستاذ طه عبد الباقى سرور
الاثنين ١٠	»	» » الضيفية	» أحمد محمد ضيف	» لبيب البوهى
الثلاثاء ١١	»	» » المرغنية الختمية	» محمد سر الختم المرغنى	الدكتور محمد يوسف موسى
الاربعاء ١٢	»	» » السعدية	» حموده على الحضرى	الأستاذ عبد الرحمن العطار
الخميس ١٣	»	» » الشعيبية الأحمدية	» محمد حسن الشعيبى	الدكتور على عبد الواحد وافى
الجمعة ١٤	»	» » البرهامية	» محمد محمد عاشور	الأستاذ محمد عبد الباقى نعيم
السبت ١٥	»	» » الرفاعية	» محمود كامل يس	» عبد المنعم الحلوانى
الأحد ١٦	»	» » المحمدية الشاذلية	» محمد زكى ابراهيم	» محمد زكى ابراهيم
الاثنين ١٧	»	» » القادرية	» محمد عبد القادر القادرى	الدكتور محمد مظهر سعيد
الثلاثاء ١٨	»	» » الحامدية الشاذلية	» ابراهيم سلامه الراضى	الأستاذ البهى الخولى
الاربعاء ١٩	»	» » البيومية	» محمود أحمد فضل	» عبد ربه سليمان
الخميس ٢٠	»	» » الضيفية	» أحمد محمد ضيف	الدكتور محمد مظهر سعيد
الجمعة ٢١	»	» » البرهامية	» محمد محمد عاشور	الأستاذ محمد أبو زهرة
السبت ٢٢	»	» » الرفاعية	» محمود كامل يس	الدكتور محمد مصطفى حلمى
الأحد ٢٣	»	» » المرغنية الختمية	» محمد سر الختم المرغنى	الأستاذ سيد أبو المجد
الاثنين ٢٤	»	» » العروسية الشاذلية	» فكرى منصور كريم	الدكتور يحيى الخشاب
الثلاثاء ٢٥	»	» » الكناسية الأحمدية	» سلامه محمد نويتو	الأستاذ عبد الرحيم فوده
الاربعاء ٢٦	»	» » المرازقة الأحمدية	» محمد حسن شمس الدين	» حسن علوان
الخميس ٢٧	»	» » الحامدية الشاذلية	» ابراهيم سلامه الراضى	الدكتور محمد مظهر سعيد

الاسس الاسلامية للحياة الروحية

الأستاذ الدكتور محمد مصطفى حلمى

الأستاذ فى كلية الآداب ـ جامعة القاهرة

نص المحاضرة القيمة التى ألقاها الدكتور حلمي بقاعة المحاضرات الكبرى بالجامعة الأزهرية :

واستقبلتها الأوساط العلمية بالتقدير والإعجاب

أيها السادة :

للإنسان حياتان : حياته المادية التى يحياها إنسانا عاديا مقبلا على ما فى الحياة من متاع وجاه وزخرف ، وحياته الروحية التى يحياها فيما بينه وبين نفسه يصفيها وينقيها ، ويسمو بها عن هذا الدرك المادى الذى يغرق فيه الإنسان العادى ، والحياة بهذا المعنى الروحى هى ـ من غير شك ـ المثل الأعلى لما ينبغى أن يحياها فيما بينه وبين نفسه ، بل فيما بينه وبين ربه أولا ، ثم فيما بينه وبين أشباهه بعد ذلك فإذا خلصت له الحياة بهذا المعنى ، فقد خلص هو إلى الحياة التى ينبغى أن يحياها ، والتى يتحقق بها المثل الأعلى فى الحق إذ يقول أو يفعل ، وفى الخير إذ يعايش أو يعاشر ، وفى الجمال إذ يدرك ويتذوق . والحياة الروحية بهذا المعنى أيضا كانت حياة السلف الصالح من المسلمين ؛ فقد أشرق على العالم ضوء الحياة الروحية المحمدية على يد محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وما فتئت أنوارها يمتد ضاؤها وتنتشر ظلالها منذ ذلك الحين على أيدى طبقات من الصحابة والتابعين ، ومن تبع التابعين من الزهاد ، والعباد ، والنساك ، والفقراء ، والصوفية ومن جاء بعدهؤلاء وأولئك من الذين فلسفوا التصوف . حتى جاء على الحياة الروحية حين من الدهر

غلبت عليها فيه الفلسفة ، فإذا بفريق من الباحثين يزعم لنفسه ويزعم للناس ، أن حياة روحية قوامها هذا التصوف قد دخلت على الإسلام وهى ليست منه فى شىء وقد استمدت عناصرها الأولى والأخيرة من منابع أجنبية عن الإسلام : ذهب بعضهم إلى أنها فارسية ، وذهب بعضهم الآخر إلى أنها هندية . وزعم فريق أنها يونانية فلسفية أو نصرانية إلى غير ذلك من الآراء والمزاعم الكثيرة التى ذهب إليها ونادى بها فريق من المستشرقين ، وجاراهم فيها طائفة من الباحثين الشرقيين . والواقع أننا إذا تصفحنا تاريخ الحياة الروحية الإسلامية ، وتأملنا العناصر الرئيسية التى انبثت فيها ، والمعانى الحقيقية التى انطوت عليها ألفيناها إسلامية خالصة وألفينا إسلامية فى عناصرها العلمية والعملية جميعا بل وفيما اصطبغت به من الألوان الفلسفية التى يزعم الزاعمون فيها أنها أجنبية عن الإسلام ، والواقع أنها ليست كذلك ،

ولكى يتضح هنا الذى أعنيه ، لنرجع معاً إلى تاريخ الحياة الروحية الإسلامية . أو بعبارة أدق ، إلى الحياة الروحية المحمدية التى هى فى رأيى المنبع الأول الذى فاض منه أدق الحقائق وأرق الدقائق ، ومنه استمد الصوفية والزهاد تصوفهم وزهدهم . وإليه يرد الباحثون المنصفون ما أخذه أولئك وهؤلاء من رياضات ومجاهدات ، وما فتح به على أولئك وهؤلاء من مشاهدات ومكاشفات . فإذا وقفنا عند حياة محمد بن عبد الله عليه صلوات الله فيما كان يأخذ به نفسه من تحنث فى غار حراء قبل البعثة ، وما كان يأخذ به نفسه من تصفية ، وقلبه من تنقية ، وفيما كان يعكف عليه من تدبر وروية وتأمل فى ملكوت السموات والأرض ، وفى بديع السموات والأرض ، وفيما خلق الله للناس من شىء ، وفيما انتهى إليه من هذا كله ، من صفاء البصيرة ، ونقاء السيرة ، حتى أصبح أهلا لأن يرى الرؤيا الصادقة ، وأنه ما كان يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح . ومافتئ كذلك حتى تهيأت نفسه ودق حسه ورق قلبه وأصبح قابلا لأن يقبل عليه ربه فنزل عليه ملكه . هنالك أصبح محمد أهلا لأن ينزل عليه جبريل ، وأن يقرئه أول ما قرأ من آيات القرآن الكريم فإذا هو يقرأ باسم ربه الذى خلق ؛ خلق الإنسان من علق ، وإذا هو يقرأ باسم ربه الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم . هنالك تلقى محمد هذا العلم من لدن الله ، وهنالك قرأ محمد هذه الآيات البينات

فكانت قراءته لها نهاية عهد وفاتحة عهد : نهاية عهد لحياة مادية وثنية ، كان يغرق فيها العرب مع الأصنام فى عبادة ما أنزل الله بها من سلطان ، ثم إذا بهذه العبادة الوثنية تستحيل على يد محمد ، عبادة لله ، الواحد ، الأحد ، الفرد الصمد ، الذى لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد . هنالك عندما قرأ محمد هذه الآيات تغيرت الحياة وتغير معها كل شىء فى قلوب العرب ؛ فإذا هم يستمدون من هذا المعين الفياض أصدق الآيات وأسمى المعانى ، ويحققون على يديه أرفع المثل .

* * *

ثم بعد أن هبط الوحى على محمد ماذا كان يفعل ؟ وبماذا كان يأخذ نفسه ؟ وعلى أى لون من ألوان الرياضة والمجاهدة كان يجاهد نفسه ويجاهد الشيطان ؟ .

لقد أصبح محمد صلى الله عليه وسلم نبياً بعد أن كان متحنثاً وكان يأخذ نفسه بألوان من الرياضة وضروب من المجاهدة ، وكان يقوم الليل حتى تنفطر قدماه ، وكانت عائشة رضى الله عنها تقول له : « لم تفعل هذا يارسول الله وقد غفر الله لك من ذنبك ما تقدم وما تأخر » ؟ فكان يجيب عليه الصلاة والسلام : « أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً » ؟ هذا الشكر الذى كان يمعن محمد فى تحقيقه نحو ربه ، وذلك الجهاد الذى كان يأخذ نفسه فيه بالرياضة والمجاهدة ، وغير هذا وذاك من تلك المعانى الروحية الصادقة من ذكر وشكر وصبر وقناعة وزهد ، ورضى بكل ما يبتلى به فى سبيل الدعوة إلى الله . كل أولئك كانت معانى أخذ بها محمد نفسه ، ثم إذا هو يصبح فيها كقدوة حسنة ، وأسوة صالحة لكل من لبى دعوته واستجاب لدينه .

والذى يعنينى من هذه المقدمات ، هو أن الحياة الروحية المحمدية سواء فى تحنث محمد عليه الصلاة والسلام أو فى حياته بعد البعثة نبيا ، كانت المصدر الأول للحياة . الروحية الإسلامية ممثلة فى الزهاد حينا ، وفى العباد والنساك والفقراء والصوفية أحيانا ، وليس من شك فى أن الصبر والشكر والرضى وما إلى هذا كله من المعانى التى حققها محمد عليه الصلاة والسلام فى نفسه ، هى هى بعينها التى استحالت

على أيدى الصوفية مقامات وأحوالا ، فالصوفية قد رسموا طريقا كله مراحل ومراتب : مراحل يسلكها السالك فى سبيله إلى الله ، وفى هذه المراحل يتلقى ألوانا من التهذيب وضروبا من الترهيب والترغيب يأخذ نفسه بها تارة ويأخذه بها شيخه أو مدبر أمره من الناحية الروحية من ناحية أخرى على هذا المعنى الذى أخذ به الصوفية أنفسهم من رياضات ومجاهدات ، وعلى هذا المعنى الذى يحقق لهم فيه أروع المكاشفات وأمتع المشاهدات، ينبغى أن تفهم الحياة الروحية الإسلامية مذظهرت على أيدى الزهاد ، وأخذت تتطور بعد ذلك على أيدى الصوفية . ثم نحن لانجد المصدر الإسلامى للتصوف ولحياة الصوفية الروحية فى حياة محمد فحسب ، وإنما نحن واجدوه أيضاً فى أحاديثه وفى أدعيته وفيما كان يقول فى مناسبات تختلف باختلاف الظروف . فهو قد دعا إلى الحب وإلى الإخاء وإلى التسامح . وهو عليه الصلاة والسلام قد دعا إلى الاستقامة فى الخلق ، والسلامة فى القول . والرجاحة فى العقل ؛ والوفاء بالعهد ، وعدم الإخلاف فى الوعد إلى غير ذلك من الفضائل الكثيرة التى ينبغى أن يتحلى بها المسلم وهو بعد هذا كله قد ناجى ربه فأصبح صفيه ونجيه بعد أن أصبح خليله ونبيه . وهو فى مناجاته لربه كان يقوم الليل وكان يعتكف على نفسه دائبا على تصفيتها وتنقيتها ؛ وهو فى كل مسالكه ومناهجه وفى كل ما كان يصدر عنه أو ينسب إليه كان مثلا أعلى للمسلم الذى ينبغى أن يحيى حياة روحية إلى جانب ما يحيا من حياة عملية يؤدى فيها ما عليه من واجب نحو أشباهه بقدر ما يؤدى ماعليه من ذلك الواجب نحو ربه فى حياته الروحية الخالصة ثم ليس الأمر فى المصادر الإسلامية واقفا عند هذا الحد ؛ وإنما هو يتجاوزها إلى القرآن نفسه : فالقرآن هو المنبع الأصفى ؛ والمنهل الأشفى الذى سلك إليه الصوفية أول ماسلكوا طريق الاستسقاء والاهتداء . استقوا منه واهتدوا به بقدر ما استقوا من الحياة الروحية المحمدية واهتدوا بها ؛ ولم يهتدوا بالقرآن أو يستقوا منه من الناحيتين العلمية والعملية فحسب ، وإنما كان ذلك أيضا من الناحية الذوقية النفسية ، فهم عندما يذهبون مذاهبهم فى الحب مثلا — فى الحب الإلهى الذى يعد عندهم المحور الرئيسى الذى تدور عليه أفكارهم وأذواقهم — تراهم يلتمسون

مصدرهم من القرآن « يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عند دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه » هذا الحب المتبادل بين الله وبين العبد ، وبين العبد وبين الله . وهو قوام الحب الإلهى فى التصوف الإسلامى ، وهو ذلك الذى وجه قلوبهم وسيطر على عقولهم ، وجعلهم يصدرون فيما صدر عنهم من شعر ونثر ، عن أدق المعارف ، وألطف اللطائف ، ذلك لأنهم صدروا عن أقوم الكتب كما صدروا عن أكرم الخلق . ونحن إذا تأملنا ما خلفه الصوفية من آثار فى الحب وما تفرع على هذا الحب من مذاهب فى وحدة الشهود ، أو فى التجلى أو فى معرفة الحقائق والدقائق ألفينا هذا كله مردودا إلى أصله فى كتاب الله بقدر ماهو مردود إلى سنة رسوله من الناحية العملية .

فنحن نعرف مثلا أن زعيم الحب الإلهى وإمام العاشقين ، هو شرف الدين عمر بن الفارض . لقد أغرق هذا الشاعر الصوفى فى الحب الإلهى ، وأغرق إلى الحد الذى جعل منه سلطانا للعاشقين ، وإماما للمحبين على حد ما تفهم من معنى قوله :

نسخت آية العشق من قبلى ... فأهل الهوى جندى وحكمى على الكل
وكل فتى يهوى فإنى إمامه ... وإنى برىء من فتى سامح العزل

وعلى ما نفهم من قوله مخاطبا ربه عز وجل :

كل من فى حماك يهواك لكن ... أنا وحدى بكل من فى حماكا
يحشر العاشقون تحت لوائى ... وجميع الملاح تحت لواكا

* * *

ونحن نعرف أيضاً أبيات رابعة العدوية التى سبقت فيها ابن الفارض فى مضمار الحب الإلهى ، وهى تلك التى تناجى فيها ربها فتقول :

أحبك حبين حب الهوى ... وحباً لأنك أهل لذاكا
فأما الذى هو حب الهوى ... فشغلى بذكرك عمن سواك

وأما الذى أنت أهـــل له فكشفك للحجب حتى أراكا
فلا الحمـد فى ذا ولا ذاك لى ولكن لك الحمد فى ذا وذاكا

* * *

ونحن نصرف بعد هذا كله أبيات محى الدين بن عربى التى يتحدث فيها عن الحب ، وينتهى إلى أن الإسلام بمعناه الحقيقى إنما هو دين الحب الذى أدين به لله ، والذى كان محمد عليه الصلاة والسلام إمامه :

أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه فالحب دينى وإيمـــانى

وليس الحب أو ليس الدين الذى أقيم على الحب هنا شيئا آخر غير دين الإسلام على حد ما يفسره ابن عربى نفسه فى (ترجمان الأشواق) الذى ضمنه أشعاره ، وشرحه لهذه الأشعار . هذا كله نعرفه ، ولو أردنا أن نرده إلى أصوله الإسلامية لوجدنا أنه يمكن أن نلتمس له مصادره فى القرآن الكريم ، وفى الحديث الشريف وفيما أثر عن النبى صلى الله عليه وسلم من أقوال وأحوال . فالقرآن الكريم بما حوى من دعوة الى الحب المتبادل بين الله والناس ، وفيما قرر من أن الله هو المصدر الحقيقى لكل ما يمتلىء به الكون من آيات وجود ، ولكل ما يصدر عن الناس من أعمال ، وأن الله نور السموات والأرض ، وأننا أينما نولى فثمَّ وجه الله ، وبما يدعو اليه من أن يسلك الناس فيما بينهم وبين أنفسهم مسالك الحق والخير والجمال ، وفيما بينهم وبين أشباههم مسالك الحب والإخاء والمساواة . كل أولئك إنما نجده أصلا لكل ما قاله الصوفية من أقوال وماذهبوا إليه من مذاهب فى التجلى : تجلى الله فى الكون ، تجلى أفعاله وتجلى أسمائه وتجلى ذاته على أوجه مختلفة من التجلى . كل أولئك يرده الصوفية ويرده العقل المحقق إلى مصدره الإسلامى فى قوله عز وجل : « الله نور السموات والأرض » ، وفى قوله تبارك وتعالى : « فأينما تولوا فثمَّ وجه الله » . ثم لا يقف الأمر عند هذا الحد ، وانما هو يتجاوزه إلى إثبات أن الله هو الفاعل الحقيقى ، وأن الإنسان من الله إنما هو بمثابة القلم فى يد الكاتب يحركه كيفما شاء ويديره ويجرى عليه أيما شاء ، حتى إذا صدر عن الإنسان فعل زعم لنفسه ، وزعم له الناس أنه صادر من إرادته ، والحقيقة أنه صادر عن مشيئة الله ، وذلك فيما يخرجه الصوفية من قول الله تعالى

إذ خاطب نبيه بقوله : « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » فالآية فى ظاهرها تدل على أن الله قد نصر المسلمين وأعز جندهم ، وأعزهم بنبيهم ، وأعز نبيهم بهم ولكن الصوفية بما أوتوا من براعة فى التأويل ، استطاعوا أن يردوا إليها ما يرمون إليه من إثبات أن الله هو كل شىء وأن ما عداه ليس شيئا وأنه عزوجل هو الذى يفعل ؛ وهو الذى يدبر . وأن ما يفعله وما يدبره هو الذى يظهر على أيدى الناس ؛ فيظنون أنه عنهم ؛ والحقيقة أنه عن الله ومن الله وبالله . فإذا كان ذلك كذلك فقد تبينا إذن إلى أى حد ؛ وعلى أى وجه يمكن أن يقال : إن مصدر الحياة الروحية الإسلامية أسلامى خالص .

* * *

صحيح ، أن المسلمين اتصلوا بغيرهم من الأمم وأخذوا عنهم وتأثروا بهم : أخذوا عن اليونان بعض الفلسفة ، وأخذوا عن الهند والفرس أشياء أخرى ، ولكن ليس من شأن ما أخذوه عن أولئك وهؤلاء أن يجعل مصدر الحياة الروحية الإسلامية أجنبيا عن الإسلام . الحق الذى لا شك فيه ، أن القرآن والحديث وحياة نبى الإسلام متحنثا أولا ، ثم نبيا مرسلا بعد ذلك .

هى المنابع الصافية الإسلامية الخالصة التى صدرت عنها الحياة الروحية على أيدى الزهاد والعباد أولا ، ثم على أيدى الصوفية ومفلسفى الصوفية بعد ذلك . فإذا صح هذا كله فما أمعن المستشرقين فى الخطأ وما أمعن المقلدين لهم فى الضلال والزلل ! وما أجدر أولئك وهؤلاء أن يخلصوا من التعصب والتعسف والتكلف أن يخلصوا إلى درسة الحياة الروحية الإسلامية دراسة مبرأة عن الهوى والغرض إنهم إن فعلوا فقد وصلوا إلى معرفة الحقيقة على الوجه الذى ينبغى أن تعرف عليه وهو أن المثل الأعلى فى الحياة الروحية إنما كان إسلاميا ، وأن المورد الأصلى الذى ورده الصوفية إنما كان إسلاميا فاضت أسراره ، وأشرقت أنواره أول ما أشرقت من غار حراء ، ثم امتدت هذه الأنوار وشاعت تلك الأسرار ، فإذا هى تملأ الأرض العربية نورا ، وإذا هى تفيض على قلوب المسلمين نورا .

أثر السنة فى التشريع الاسلامى

للدكتور محمد يوسف موسى
المستشار الثقافى لوزارة الاوقاف

يقوم الإسلام على دعامتين قويتين وأصلين مقدسين ، وهما : كتاب الله المحكم ، وسنة رسوله الصحيحة .

وبين هذين الأصلين ارتباط طبيعى قوى ، تراه ماثلا فى كل ما أتى به من تشريع ، وفى كل ما دعا إليه من أخلاق . ومبادىء تقوم عليها الحياة ، ومثل عليا تسعد بها الإنسانية . ولذلك نجد الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « لقد أوتيت القرآن ومثله معه » ويريد بهذا سنته الشريفة التى تتمثل فى أقواله وأفعاله ، والتى علينا أتباعها والعمل بها .

ولذلك أيضاً : نجد الله جل ذكره يقول فى كتابه الكريم : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم » ويقول : وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » ويقول : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » ويقول : « يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » .

وواضح أن معنى طلب الله تعالى أن نرد ما اختلفنا فيه إليه هو الرد إلى كتابه العظيم ؛ وأن معنى الرجوع إلى الرسول : هو الرجوع إلى سنته بعد أن لحق بالرفيق الأعلى .

والسبب فى ارتباط القرآن بالسنة فى التشريع الذى نقتصر فى حديثنا هذا عليه — : هو أن كتاب الله لم يتناول فى كثير من الأحوال الأحكام والمبادىء التشريعية ، من عبادات ومعاملات وغيرهما

إلا بإجمال ، وعلى نحو كلى ؛ فكان لا بد من بيان وتفصيل لما جاء به وإذاً يكون لا بد من الاستماع لسنة الرسول وإطاعتها ، والنزول على أحكامها ، باعتبار أنها بيان للقرآن وتفسير له .

ولا عجب !! فإطاعة الرسول ليست إلا طاعة لله جل وعلا ، وفى هذا يقول : « ومن يطع الرسول فقد أطاع الله » .

وقد يكون لنا أن نقرر بإيجاز أن دور الرسول صلى الله عليه وسلم كان دور الشارح للمتن ، الذى هو القرآن ، إلا أنه شارح ملهم ، ومفسر معصوم ، فيما يتصل بالقرآن والدين وأصوله ، فهو يعمل تحت رعاية الله دائما ، وهو لا ينطق عن الهوى . بل ما يقوله ليس إلا وحيا يوحى إليه من الله تعالى .

وبعد هذا الإجمال الذى تبينا به أن بين الكتاب والسنة رابطة لا انفصام لها ، إذ هما الأصلان المقدسان للإسلام ؛ نذكر بعض المثل التى تبين هذه الرابطة التى لا بد منها وسنقتصر هنا — حسب — على الناحية التشريعية :

ا — أمر الله بالصلاة وشرعها فرضا علينا ، وجاء ذلك فى القرآن فى آيات كثيرة ، ومن هذه الآيات قوله: « أقيموا الصلاة» وأشار فى بعض الآيات إلى أوقاتها فى اليوم والليلة . إلا أن الكتاب لم يبين لنا عدد ركعات كل صلاة ، لا كيفية الصلاة نفسها ، فجاء الرسول صلى الله عليه وسلم وبين لنا ذلك كله ، بقوله حينا . وبفعله حينا آخر ، وهذا حين صلى وقال : « صلوا كما رأيتمونى أصلى » ولذلك : عنى كثير من الصحابه رضوان الله عليهم ، بأن ينقلوا إلينا كيف كانت صلاة الرسول على نحو تام كامل .

ب — وكذا الأمر فى الصوم ، فقد فرض الله تعالى علينا صوم شهر رمضان ، وجاء هذا فى بضع آيات من القرآن إلا أن السنة هى التى بينت لنا فى وضوح تام أن الصوم يكون من الفجر إلى غروب الشمس . وأن علينا أن نبدأ بالصوم متى رأينا هلال رمضان ، وأن نفطر متى رأينا هلال شوال كما بينت حكم من يفطر عامداً أو ناسيا وغير ذلك من أحكام الصيام .

جـ — وكذلك الأمر فى الزكاة

فقد أمر بها فى القرآن فى كثير من الآيات . بلفظ الزكاة تارة ، ولفظ الصدقة تارة أخرى ، وذلك حين قال الله تعالى : « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » وقال : « خذ من أموالهم صدقة » وقال : وآتوا حقه يوم حصاده » أى حق الزرع ، لكن السنة النبوية هى التى بينت لنا الأموال التى تجب الزكاة فيها ، ومقدار الواجب فى كل نوع منها ، ومتى تجب ، وهكذا إلى آخر ما يتعلق بتحديد هذه الفريضة تحديدا كافيا .

د — وفى الحج : ذكر القرآن أنه فرض علينا بقوله تعالى : « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا » كما اشار إلى بعض أفعال الحج وشعائره ، ومن ذلك الإحرام والطواف بالكعبة ، والسعى بين الصفا والمروة ، والوقوف بعرفات .

ثم جاءت السنة وبينت لنا كيفية الإحرام ومواقيته ، ومتى يكون واجبا وعدد مرات السعى بين الصفا والمروة وكيفيته ، ومقدار الزمن الذى يجب الوقوف فيه بعرفة ، إلى غير ذلك كله مما يتعلق بالحج ، حتى صار معروفا لنا تماما كما فعله الرسول ونقله عنه كثير من الصحابة رضى الله عنهم وأرضاهم .

وإذا تركنا العبادات إلى المعاملات التى بين الناس فى هذه الحياة ، نجد الأمر يجرى على ذلك النحو أيضاً ، نعنى من ارتباط السنة بالقرآن ولزومها بجانبه ، وأنها حجة معه ، وأصل من أصول التشريع ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

لقد بينت لنا كثيرا من ضروب هذه المعاملات التى جاء فى القرآن بإجمال ، أو التى أشار إليها إشارات لا تغنى عن البيان والتفصيل ، بل إن السنة النبوية جاءت بأحكام تشريعية هامة ، لم تذكر مطلقا فى القرآن ، ولنذكر بعض المثل التى تبين هذا الضرب وذاك .

١ — أحل الله البيع وحرم الربا كما فى القرآن ، وأشار فى بعض آياته إلى وجوب ابتناء عقد البيع - كسائر العقود الأخرى - على الرضى من الطرفين وذلك إذ يقول فى الآية التاسعة والعشرين من سورة النساء : « يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ، إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم » .

إلا أن البيع له بعد ذلك أركان

وشروط يجب توفرها ليكون العقد صحيحا ، وإلا كان باطلا أو فاسدا . وهذه الشروط بعضها يتعلق بموضوع العقد نفسه ، أى الشيء المبيع ، وبعضها يتعلق بكل من المتعاقدين ، وبعضها يتعلق بالثمن . وهـذا كله ما لا نجد له بيانا فى القرآن ، ولكن نجد هذا البيان فى سنة الرسول .

ففيها اشتراط الرضى فى عقد البيع صراحة ، وذلك إذ يقول صلى الله عليه وسلم : « إنما البيع عن تراض » ، ووجوب أن يكون المبيع مملوكا للبائع ، وإذاً فلا يصح للإنسان أن يبيع ما لا يملك ، ثم يذهب لشراء ما باع ويسلمه لمن باعه له ، وفى هذا أخرج أبو داود فى سننه عن حكيم بن حزام قال : يارسول الله ! ! يأتينى الرجل فيريد البيع ليس عندى ، أفأبتاعه له من السوق ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « لا تبع ما ليس عندك » .

وفيها : أنه يشترط مع هذا أن يكون المبيع موجوداحين العقد تحت يد البائع ، وذلك ليكون من المؤكد أنه قادر حينئذ على تسليمه للمشترى ؛ وفى هذا يروى ابن عباس عن الرسول عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من ابتاع طعاما فلا يبعه حتى يقبضه » ثم يقول ابن عباس بعد أن روى هذا الحـديث : وأحسب كل شيء بمنزلة الطعام .

٢ — وفى الربا خاصة . نجد الله تعالى يحرمه فى القرآن قليله وكثيره ، ويتوعد من يقترف شيئا منه بالعذاب الغليظ ، وينذر الذين لا يتركون ما كانوا عليه من الربا فى الجاهلية بحربه وحرب رسوله . ولكن ما هو الربا ؟ وفى أى الأنواع من الأموال يحرم الربا ؟ وما هو الفرق بين ربا الفضل أو الزيادة ، وبين ربا النسيئة أى الأجل ، فى الحكم والحل والحرمة كل ذلك لا نجده فى القرآن ، ولكن نجده فى سنة الرسول على ما هو معروف .

٣ — ونذكر بعد ذلك المثل مثلا آخر يرينا أن السنة النبوية جاءت بتشريعات مبتدأة مفصلة ، لا نجدها فى القرآن ، ونكتفى بأن نشير فيها إلى شرعية الخيارات فى العقود ، وإلى شرعيـة الشفعة للشريك أو الجار للمبيع .

فمن الخيارات : « خيار المجلس » وقد شرعه الرسول صلى الله عليه وسلم للتأكد من رضى كل من المتعاقدين ؛ لأن البيع والشراء مثلا فى الشريعة الإسلامية ليس انتهاز فرصة من ناحية البائع أو المشترى ، ولذلك لابد من وجود الرضى الحقيقى من كل منهما ولهذا نجد خاتم الأنبياء والمرسلين يقول : « البيعان بالخيار مالم يتفرقا » أى من مجلس العقد . وفى حديث آخر ، رواه الإمام البيهقى فى « السنن الكبرى » يقول صلى الله عليه وسلم : « أيما رجل ابتاع من رجل بيعة ، فإن كل واحد منهما بالخيار حتى يتفرقا من مكانهما ، إلا أن يكون صفقة خيار ، ولا يحل لأحد أن يفارق صاحبه مخافة أن يقيله » أى مخافة أن يطلب فسخ عقد البيع

ومن الخيارات : « خيار الشرط » وقد شرعه الرسول ، إذ قال لرجل من الأنصار — وهو حبان بن منقذ ، أو أبوه على ما جاء ببعض الروايات وكان على يقين فى البيع — : « إذا بايعت فقل لاخلابة » أى لاخديعة ، ثم أنت بالخيار فى كل سلعة ابتعتها ثلاث ليال ، فإن رضيت فأمسك ، وإن سخطت فاردد » .

ومن هـــذه الخيارات أيضاً : « خيار الرؤية » الذى شرعه الرسول صلى الله عليه وسلم لمن اشترى شيئا لم يسبق له أن رآه ؛ وذلك إذ يقول — على ماروواه الإمـــام البيهقى ، فى كتابه الآنف الذكر — : « من اشترى شيئا لم يره فهو بالخيار إذا رآه ، إن شاء أخذه ، وإن شاء تركه » .

أما الشفعة : فهى نظام يقوم على رفع الضرر عن الشريك أو الجار بأن يحق له أن يتملك بسببه ما باعه شريكه أو جاره لأجنبى ، وقد شرعه الرسول عليه الصلاة والسلام بأحاديثه التى تثبت هذا الحق للشريك ثم للجار عند عدم وجود الشريك ؛ وهى أحاديث معروفة ، لا نرى خيرا فى الإطالة بإيرادها بنصوصها .

« البحث مستمر »

حديث فى التصوف

للأستاذ حسن كامل الملطاوى

وكيل وزارة الخزانة

أخرج مسلم والترمذى عن حنظلة ابن الربيع الأسيدى كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى الله عنه قال :

« لقينى أبو بكر رضى الله عنه ، فقال كيف أنت ؟ فقلت نافق حنظلة، فقال سبحان الله ما تقول ، فقلت نكون عند النبى صلى الله عليه وسلم يذكرنا بالنار والجنة كأنا نراهما رأى عين فإذا خرجنا من عنده عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ونسينا كثيراً قال والله إنى لأجد مثل هذا فانطلقا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكرا له ذلك فقال: والذى نفسى بيده لو تدومون على ما تكونون عندى ، وفى الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفى طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ثلاث مرات » .

وترون من هذا الحديث أن صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لها على الأرواح إشراق ما بعده إشراق ، وليس مع الإشراق إلا النور أو لم يخاطب الله حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم بقوله : « يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجا منيراً ـ صلوات الله وسلامه عليه .

وهذا النور الروحى الذى ورثه الصحابة عن حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم ورثوه لمن بعدهم جيلا بعد جيل ، وهذه العملية تسمى ميراث القدم المحمدى أو إن شئت فسمها عملية التلقين ، وهى أشبه بعملية الاختمار التى يستعان فيها بعجين سابق فى عجين لاحق حتى يصح نضجه (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم)

ولسنا فى حاجة إلى أن نبين أثر الميراث الروحى لأنكم تعلمون كيف

انتشر الإسلام فى المشارق والمغارب انتشار النور فى الظلمات فعمها فى أوسع أفق وأضيق وقت . ولولا الميراث الروحى الذى يهدى به الله من يشاء ما حولت الرسالة المحمدية مجرى التاريخ فى أقل من ربع قرن وهى مدة تكاد لا تكفى الواحد منكم لتعليم ولده وتربيته تربية إسلامية صحيحة مع توفر الأساس فى عقيدته وهو أساس التوحيد وقد قال تعالى :

« واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه فى قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم ،

وقال أيضاً :

« يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين . »

ولا أدل على الميراث الروحى من أن مهبط الوحى يثير نشاطاً فى الروح يدركه كل من حج بيت الله أو تشرف بزيارة حبيبنا المصطفى وجلس إلى جواره ، وأقسم أنى أقرأ كتاب الله فى بيت الله الحرام أو فى مسجد رسول الله فكأنى بدلت روحاً غير روحى وكأن القرآن ينزل على قلبى غضاً كأول عهده .

والرائى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام تهتز روحه اهتزازاً ويتحول فى حياته تحولا كليا وكثيراً ما تحول الراءون من حال إلى حال لم يكن لهم بها عهد ولا أمل .

ولولا الميراث الروحى ما زاد الإيمان ولا نقص ، ولولا الميراث الروحى ما تفاضل المؤمنون ولما كانوا من درجات ثلاث كما تدل الآية الكريمة

« ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير »

وقد قال إمامنا البخارى رضى الله عنه : حضرت العلم عن ألف وثمانين شيخا كلهم أجمعوا على أن الإيمان علم وعمل يزيد وينقص .

ثم إن الصحابة رضى الله عنهم وقع عليهم العبء الأكبر فى حماية عقيدة الإسلام ونشر دعوته فلم يتفرغوا لتدوين العلم ، وإنما كانت صدورهم أوعية له ، لا بل إن القرآن الكريم لم يجمع كله إلا فى خلافة الصديق رضى الله عنه وذلك بمشورة

من سيدنا عمر ، وتفصيل ذلك ما رواه البخارى عن زيد بن ثابت قال : أرسل إلى أبو بكر مقتل أهل اليمامة وعنده عمر فقال أبو بكر إن عمر أتانى فقال إن القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس ، وإنى أخشى أن يستحر القتل بالقراء فى المواطن ، فيذهب كثير من القرآن إلا أن تجمعوه ، وإنى أرى أن تجمع القرآن قال أبو بكر فقلت لعمر كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال هو والله خير ، فلم يزل يراجعنى حتى شرح الله لذلك صدرى ، ورأيت الذى رأى عمر ، قال زيد وعنده عمر جالس لا يتكلم فقال لى أبو بكر ، إنك رجل شاب عاقل ولا نتهمك ، كنت تكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه ، فوالله لو كلفنى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرنى به من جمع القرآن ، قلت كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال أبو بكر هو والله خير فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر فقمت فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة الأنصارى لم أجدهما مع غيره « لقد جاءكم رسول من أنفسكم » فكانت الصحف التى جمع فيها القرآن عند أبى بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر ، ومن هذه الصحف نسخت المصاحف فى عهد سيدنا عثمان رضى الله عنه .

وكذلك الحديث كان فى صدور حفظته من الصحابة حتى أخذه عنهم الرواة ودونه أئمة الحديث فيما بعد فى القرنين الثانى والثالث للهجرة .

وكذلك فى الفقه كان الصحابة يستفتى بعضهم بعضا ولا يرى الواحد منهم بأسا فى أن يسأل غيره عن نص من كتاب أو سنة فيما يعرض عليه من حوادث ، قال مسروق : رأيت مشيخة رسول الله يسألون عائشة فى الفرائض وكانت القضية تنزل بأبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فيقضى فيها بما علم من كتاب أو سنة فإن لم يجد سأل من بحضرته من الصحابة فإن وجد عندهم علما بها رجع إليه وإلا اجتهد برأيه ، وكان الخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم فى كثير من المسائل يجمعون الصحابة ويعرضون عليهم ما أشكل

عليهم أمره لعل بعضهم يكون عنده حديث أو علم من الكتاب ويتناقشون فى الأمر ، وعلى ضوء هذه المناقشة يفصلون فى الموضوع . وكان عمر وعبد الله بن مسعود ، وزيد بن ثابت يستفتى بعضهم من بعض ، وكان على وأبى بن كعب وأبو موسى الأشعرى يستفتى بعضهم من بعض ، وذكر ابن القيم أن الفتوى حفظت عن أكثر من مائة وثلاثين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين رجل وامرأة

وكما أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يتفرغوا لتدوين الحديث والفقه لانتشار العلم والعمل والميراث الروحى فيما بينهم ولسهولة الرجوع إلى بعضهم البعض فيما يشكل عليهم من المسائل ولانشغالهم بالجهاد فى نشر الدعوة الإسلامية ، فإنهم بالمثل لم يدونوا شيئاً من علم مجاهدات النفس وهو ما عرف فيما بعد بعلم التصوف كما سيأتى القول .

وجاء بعد جيل الصحابة التابعون ثم جاء بعد التابعين تابعو التابعين . وهؤلاء هم خير القرون كما أخبرنا حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم حيث قال : خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم .

ظهور السادة الصوفية :

ولما اتسعت الفتوحات واختلط العرب بالعجم وترجمت كتب اليونان وتسربت فلسفتهم إلى المسلمين وكثرت الجدليات تبلبلت أفكار المسلمين وجنح كبراؤهم وأغنياؤهم وتبعهم عامة الناس إلى الغفلة والتقصير فى الطاعات بل واجترحوا السيئات وظهرت البدع التى لم تكن معروفة من قبل ولكن الله تعالى وفق فريقاً من الزهاد والعباد فحفظوا حدود الله ، وأبقوا على المثل العليا الإسلامية التى ورثوها عن أسلافهم الصالحين ودعوا إليها ثم ظهرت طائفة السادة الصوفية وعرفوا بهذا الاسم قبل المئتين من الهجرة وقد قاموا على الحق وهدفوا إلى تزكية النفوس وتصفية الأخلاق وتعمير الظاهر والباطن بالآداب الإسلامية الصحيحة والمحبة الخالصة لله والاشتغال به عما سواه لنيل السعادة الأبدية وهذا من فضل الله على الأمة المحمدية التى قال الله تعالى فيها : «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله» .

وقد أثرت دعوة الصوفية ونفخت فى أرواح لهم نهج المؤمنين وأحيت

لهم نهج السابقين الأولين غير أن بعض الفقهاء أسخطهم أن يروا أناساً يتحدثون عن الضمير ويحتكمون إلى قضائه فى حين أن الشريعة تحاسب على الأعمال الظاهرة وتعاقب الناس على آثامهم ولا حيلة لها مع النفاق فى الدين ، ولذلك حاولوا أن يبينوا أن حياة الصوفية لا محالة مفضيه بهم إلى الزيغ .

اعتصام الصوفية بالكتاب والسنة :

وما كان للصوفية أن يزيغوا وقد اعتصموا بالكتاب والسنة ودعوا إلى الاستمساك بهما وها هى أقوال أئمتهم تؤيد ذلك كل التأييد .

فقد قال أبو يزيد البسطامى :

« لو نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات حتى يرتقى فى الهواء فلا تغتروا به حتى تجدوه عند الأمر والنهى وحفظ الحدود وأداء الشريعة »

وقال أبو القاسم الجنيد - وهو سيد هذه الطائفة وإمامهم .

« الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر الرسول عليه الصلاة والسلام » ، وقال أيضاً من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدى به فى هذا الأمر لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة .

وقال شاه الكرمانى :

« من غض بصره عن المحارم وأمسك نفسه عن الشهوات وعمر باطنه بدوام المراقبة وظاهره باتباع السنة وعود نفسه أكل الحلال لم تخطىء له فراسة » .

وقال أبو حمزة البغدادى :

« من علم طريق الحق تعالى سهل عليه سلوكه ولا دليل على الطريق إلى الله تعالى إلا متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم فى أحواله وأفعاله وأقواله »

وبحسب الصوفية شرفاً أن يقول فيهم الإمام الشافعى رضى الله عنه صحبت الصوفية فأخذت عنهم كلمتين :

قولهم : نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل .

وقولهم : الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك .

وأهل السنة لم يقولوا بروق المعتدلين من المتصوفة لا بل دأبوا على الاهتداء فى معاملاتهم وعباداتهم بمؤلفات الصوفية من مثل الرسائل لابن أبى الدنيا وقوت القلوب لأبى طالب المكى والأحياء للغزالى .

وقد قال شيخ التصوف الأكبر

الإمام محيي الدين بن عربي :

« لقد أجمع رجال التصوف جميعاً على أنه لا تحليل ولا تحريم بعد شريعة رسول الله وخاتم النبيين صلوات الله عليه وإنما هو فهم يعطى فى القرآن لرجال الله » كما ثبت من حديث على ابن أبى طالب « وفيض من العلم يهبه الله لمن أطاعه فألهمه وجعل له نوراً »

وكما حفظ علماء الظاهر حدود الشريعة كذلك يحفظ علماء التصوف آدابها وروحها ، وكما أبيح لعلماء الظاهر الاجتهاد فى استنباط الأدلة واستخراج الحدود والفروع والحكم بالتحليل والتحريم على ما لم يرد فيه نص، وترك أمره للاجتهاد والاستنباط فكذلك للعارفين أن يستنبطوا آداباً وأذواقاً ونهجا للمريدين والعابدين .

وهؤلاء الصوفيـــة المعتصمون بالكتاب والسنة هم الذين ندعو إلى سلوك مسلكهم ، أما غيرهم ممن خرجوا عن جادة الدين فلا شأن لنا بهم مهما ادعوا أنهم صوفية .

الشريعة والحقيقة :

والصوفية حين نادوا بالحقيقة لم يخرجوا عن الشريعة وإنما هم يقولون إن الشريعه هى القيام بما أمر الله والحقيقة هى شهود لما قضى وقدر ، وأخفى وأظهر . ويقولون إن الشريعة هى حقيقة من حيث أنها وجبت بأمره تعالى والحقيقة أيضاً شريعة من حيث أن المعارف به سبحانه وجبت بأمره ، كما يقولون إياك نعبد شريعة ، وإياك نستعين إقرار بالحقيقة

وهم حين تكلموا عن المقام والحال والقبض والبسط والهيبة والأنس والتواجد والوجد والجمع والفرق والفناء والبقاء والغيبة والحضور والصحو والسكر . إلخ ، إنما تكلموا عن مذاقات الخواص المراعين أنفاسهم مع الله ، والسالك مسالكهم يتذوق، ولا شك ما وصفوا ويتحقق منه وهو ساع إلى مقام الإحسان وهو أعلى المقامات فى الدين كما ورد فى الحديث الشريف الذى رواه مسلم عن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ونصه:

« بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد أخبرنى عن الإسلام . فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا ، قال : صدقت فعجبنا له يسأله ويصدقه . قال فأخبرنى عن الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ، قال صدقت . قال : فأخبرنى عن الإحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك . قال فأخبرنى عن الساعة قال ما المسئول عنها بأعلم من السائل . قال فأخبرنى عن أماراتها قال أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة يتطاولون فى البنيان . ثم انطلق فلبث مليا . ثم قال يا عمر أتدرى من السائل ؟ قلت الله ورسوله أعلم . قال فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » .

وقد أوضح السيوطى رحمه الله ذلك بأن قال : الحقيقة سر الشريعة ولبها الخالص ، كما أن المعانى والبيان سر النحو ولطائفه . ، إلى أن قال : وأما أول من أسس الطريقة فلتعلم أن الطريقة أساسها الوحى السماوى فى جملة ما أسسه من الدين المحمدى إذ هى بلا شك مقام الإحسان الذى هو أحد أركان الدين الثلاثة التى جعلها النبى صلى الله عليه وسلم بعد ما بينها واحداً واحداً ديناً فقال : « إنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » فغاية ماتدعو إليه الطريقة وتشير اليه هى الإحسان - بعد تصحيح الإسلام والإيمان - ليحرز الداخل فيها والمدعو إليها مقامات الدين الثلاثة الضامنة لحرزها والقائم بها السعادة الأبدية فى الدنيا والآخرة ، ومن أخل بمقام الإحسان الذى هو الطريقة فدينه ناقص بلا شك لتركه ركنا من أركانه ، ولهذا نص المحققون على وجوب الدخول فى الطريقة وسلوك التصوف وجوبا عينا

واستدل على الوجوب بما هو ظاهر عقلا ونقلا فقد بين القرآن الكريم من أحوال التصوف والطريقة بما فيه الكفاية فتكلم عن المراقبة والمحاسبة والتوبة والإنابة والذكر والفكر والمحبة والتوكل والرضا والتسليم والزهد والصبر والإيثار والصدق والمجاهدة ومخالفة الهوى والنفس ، وتكلم عن النفس اللوامة والأمارة والمطمئنة وعلى الأولياء والصالحين والصديقين وغير هذا مما يتكلم فيه أهل التصوف والطريقة رضى الله عنهم . البحث مستمر

أهل الذكر

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه :

« إن لله ملائكة يطوفون فى الأرض ، يلتمسون أهل الذكر فاذا وجدوا قوما يذكرون الله عز وجل تنادوا : هلموا إلى حاجتكم . قال : فيحفونهم باجنحتهم إلى السماء الدنيا ، قال : فيسألهم ربهم ، وهو أعلم بهم ، مايقول عبادى ؟ قالوا : يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك قال : فيقول هل رأونى ؟ قال : فيقولون : لا والله مارأوك ، قال : فيقول : وكيف لو رأونى ؟ يقولون : لو رأوك كانوا أشد لك عبادة ، وأشد لك تمجيدا وتحميداً ، وأكثر لك تسبيحاً ، قال : فيقول : فما يسألونى ؟ قالوا : يسألونك الجنة ، قال : وهل رأوها ؟ قال : يقولون : لا والله يارب مارأوها ، قال . فيقول : فكيف لو أنهم رأوها ؟ فيقولون : لو أنهم رأوها كانو أشد عليها حرصا وأشد لها طلبا وأعظم فيها رغبة ، قال فمم يتعوذون ؟ قال : يقولون من النار ، قال : وهل رأوها ؟ قال . يقولون :لا والله يارب مارأوها قال : فكيف لو رأوها قال : يقولون : لو رأوها كانوا أشد منها فرارا ، وأشد لها مخافة ، قال : فيقول :

فأشهدكم أنى قد غفرت لهم . قال يقول ملك من الملائكة :

فلان ليس منهم ، إنما جاء لحاجته ، قال : هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم :

مرض أيوب وعلاج الحمى

للدكتور محمد وصفى

كثر كلام الكتاب المسلمين وغير المسلمين عن مرض رسول الله أيوب ، وأكثر ما رواه المسلمون فى وصف هذا المرض لا يستند على مصدر موثوق به ، ولم يصل إلى علمنا بحث حاول كاتبه أن يستخلص من كتاب الله شيئاً عما كتب الله عن حالة أيوب .

إن الله تعالى يقول : « وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين . فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين (٢ : ٨٣ و ٨٤) .

ولفظ الضر كلمة عامة تشمل المرض وغيره من نائبات الزمن كما جاء فى قوله تعالى : « وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم مكر فى آياتنا » . (١٠ : ٢١) .

والذى يدعونا إلى القول بأن مما كشفه الله عن أيوب مرض من الأمراض هو قوله جل شأنه : « اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب » (٣٨ : ٤٢) فذكر المغتسل البارد مع الشراب يبين أن الشراب المذكور فى الآية الكريمة مقصود به دواء شافٍ ، وأنه جاء بمثل لفظ الشراب الذى جاء فى قوله تعالى : ... « يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون » (١٦ : ٦٩) ونعت الماء بالبرودة يوحى بأن المراد استعمال الماء البارد كذلك بقصد العلاج .

ولما كان أيوب فى حاجة إلى استعمال دواء من الباطن على صورة شراب ودواء من الظاهر ممثلا فى الماء البارد ، ولما كان الماء البارد لا يقصد لذاته إلا فى حالات الحمى ، تأكد لدينا أن أيوب لابد وأنه كان مصابا بمرض ما مصحوب بارتفاع فى درجة الحرارة .

ويمكننا أن ننظر إلى الآيات الكريمة الخاصة بذكر حالة أيوب من زاوية أخرى ، فإن ما ذكره الله من ابتعاد أهل أيوب عنه ، لم تأت فيه أية إشارة إلى أن هذا الابتعاد كان بسبب اختلاف فى العقيدة أو خروج على رسالة أيوب ، أو نفور من دعوته ، ولذلك ترجح لدينا أن الحمى التى انتابته كانت هى السبب فى مجانبتهم إياه .

ولا تكون الحمى سبباً فى ابتعاد الأهل عن مريضهم إلا إذا كانت هذه الحمى شديدة العدوى ، خطيرة الأعراض .

ويزيد يقيننا أن أيوب كان مصابا بحمى معدية ، أن الله ما آتاه أهله إلا بعد أن شفاه مما به ، ولم يردهم إليه قبل أن يهديه إلى أسباب العلاج والبرء : اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب . ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولى الألباب (٣٨ : ٤٢ و ٤٣) .

وهكذا ترى قصة أيوب تهدف ، فيما تهدف إليه ، إلى توجيه طبى عظيم الشأن بعيد الأثر بالغ الحكمة ، فهى تقرر أن هنالك أمراضا معدية يجب الاحتراس منها ، وتوجب اعتزال المريض ، وابتعاد غير المحصنين ضد هذه الأمراض عنه ، مهما كانت صلة القرابة بينهم وبين المصاب ، وذلك حتى لا تنتشر العدوى وحتى لا يصابون بنفس هذه الأمراض ، وهذا هو قانون الحجر الصحى الذى لم يهتد البشر إليه ولم تدن به أوروبا إلا بعد نزول هذه الآيات الكريمة بنحو ٧٧٦ سنة حين نفذت ميلانو والبندقية بعض قوانين صارمة للحجر الصحى ضد الطاعون التى اجتاح أوروبا فى القرن الرابع عشر الميلادى ، هذه القوانين التى نفحتها بعد ذلك جمهورية راجوسا وهذبتها فأنشأت المأوى بعيدا عن المدينة ليعزل فيها القادمون والمشتبه فيهم لمدة ثلاثين يوماً ، ولذلك سميت هذه المدة Trentina ترنتينا ، ثم زيدت المدة بعد ذلك فصارت أربعين يوما وسميت لذلك كرنتينا Quarantina وهو اللفظ التى اشتقت منه حكمة (كرنتينة) ، وإن هنالك فى كتاب الله آية تحمل هذا المعنى لقانون عام للوقاية من الأمراض وغيرها وهى قوله تعالى : ... « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة »... (٢ : ١٩٥) .

وتبين لنا الآية الكريمة (اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب)

ضرورة الالتجاء إلى العلاج الباطنى فى الحميات على وجه عام مع عدم إغفال استعمال الماء البارد لتخفيف وطأة الحمى إذا لزم الأمر .

وأما قوله تعالى : « واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب (٣٨ : ١١) فلا يفهم منه أن الشيطان أصاب أيوب بمرض مما كما جاء فى كتاب اليهود من قولهم : فخرج الشيطان من حضرة الرب وضرب أيوب بقرح ردىء من باطن قدمه إلى هامته (سفر أيوب ٧١٢) فان وظيفة الشيطان تنحصر فيما يبذله من توجيهات مضللة ضد رسالة النبيين ، وفى تشكيك الناس فيما أنزله أنزله الله تعالى على رسله من هدى ، وفى تزيين سبل الغواية لبنى آدم على وجه عام ، فالله تعالى يقول : « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال : أأسجد لمن خلقت طينا ، قال أرأيتك هذا الذى كرمت على لئن أخرتن إلى يوم القيامة لاحتنكن ذريته إلا قليلا . قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفوراً . واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً . إن عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا (١٧ : ٦١ — ٦٥) .

وفعلا لم يستطع الشيطان بمحاولاته مع أيوب أن يشككه فى رحمة الله ، ولم يكن فى قدرته أن يستغل ضعفه الجسمانى فى ضره أثناء وقوعه فى أسر الحمى أن يهذى بما يغضب الله .

وما حاوله الشيطان مع أيوب ففشل فيه هو النصب والعذاب الذى لاقاه أيوب من الشيطان ، وليس شىء غيره ، ولطالما أزعج الواحد منا جاهل ثرثار ، فما بالك بإبليس نفسه ، وشدة جهالته وعظيم ثرثرته ، واستماتته فى أداء وظيفته .

أراد الله تعالى بذكر قصة الشيطان مع أيوب أن يبين صبر أوليائه ، وأن يثبت أن الشيطان لا يستطيع أن يتسيطر على المخلصين من عباده : إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون . إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون (١٦ : ٩٩ و ١٠٠) .

فقوله تعالى (اركض برجلك) كلام مستأنف لا يعنى أن النصب والعذاب الذى لاقاه أيوب من الشيطان هو عين الضر الذى أزاله الله عن أيوب بالعلاج ،

فالضر يصيب الله به من يشاء من عباده امتحانا ، ولم يقل الله أن الشيطان أصاب أيوب بالضر ، وشتان بين الضر ، وبين النصب والعذاب التى تحمله أيوب من الشيطان من غير أن يكون له منه فى نفسه أى أثر فعال .

وهنالك فى قصة أيوب درس أخلاقى عظيم ، فإن أيوب (نادى ربه أنى مسنى الضر) ولم ينسب مس الضر إياه إلى الله سبحانه وتعالى تأدبا مع ربه ، وقد فعل فى ذلك ما فعله إبراهيم من قبله حيث قال : « فإنهم عدو لى إلا رب العالمين . الذى خلقنى فهو يهدين . والذى هو يطعمنى ويسقين . وإذا مرضت فهو يشفين (٢٦ : ٧٧ — ٨٠) فنسب المرض إلى نفسه تأدبا مع خالقه ومهديه ومطعمه ومسقيه والذى يميته ثم يحييه والذى يطمع أن يغفر له خطيئته يوم الدين .

من وصايا رسول الله

قال أبو ذر الغفارى : قلت يا رسول الله أوصنى ، فقال . أوصيك بتقوى الله ، فإنها رأس الأمر كله ، قلت له : يا رسول الله زدنى ، قال : عليك بتلاوة القرآن وذكر الله فإنه نور لك فى الأرض وذكر لك فى فى السماء ، قلت : يا رسول الله زدنى ، قال : إياك وكثرة الضحك فإنه يميت القلب ، ويذهب بنور الوجه ، قلت : يا رسول الله زدنى ، قال : قل الحق وإن كان مراً ، قلت : يا رسول الله زدنى ، قال : لا تخف فى الله لومة لائم ، قلت : يا رسول الله زدنى ، قال : عليك بطول الصمت فإنه مطردة للشيطان ، وعون لك على أمر دينك ، قلت : يا رسول الله زدنى ، قال : عليك بالجهاد فإنه رهبانية أمتى ، قلت : يا رسول الله زدنى ، قال : انظر إلى من هو تحتك . ولا تنظر إلى من هو فوقك فإنه أجدر ألا تزدرى نعمة الله عليك : » .

الامام البخـــارى

ومدرسة الحديث

للدكتور محمد خلف الله أحمد

عميد كلية الآداب بجامعة الاسكندرية

فى صيف عام ١٩٤٨ انعقد المؤتمر الدولى الحادى والعشرون للمستشرقين بمدينة ، باريس ، وحضرته فيمن حضره من الأساتذة المصريين لتمثيل مصر وجامعاتها فى المؤتمر .

وكان من البحوث التى استمعنا لها هناك بحث ألقاه عالم مستشرق ممن يهتمون بالدراسات الإسلامية ، موضوعه « نظرة جديدة فى تقدير الحديث والسنة النبوية » ، وفكرته الأساسية أن العلماء المسلمين السابقين الذين عنوا بجمع الحديث وروايته قد أهملوا دراسة المجتمع الإسلامى الأول ، وما خضع له من العوامل التى أدت إلى وضع الأحاديث والكذب فى روايتها ، ولهذا جاء عملهم غير دقيق ، ووجب على الباحث الحديث أن يعيد دراسة الموضوع ، ويتخذ للصحة وعدمها مقاييس جديدة . وقد انبرى له إذ ذاك طائفة من الأساتذة المصريين الحاضرين فبينوا له خطأ فكرته ، وعدم انصافه للمجهود العلمى الضخم الذى قام به علماء الحديث من المسلمين وعلى الأخص فى القرن الثالث الهجرى وهو القرن الذى عاش فيه الشيخان البخارى ومسلم ، وبقية مؤلفى الكتب الستة .

إن المؤرخ المنصف لايسعه إلا الإعجاب بجهود أولئك العلماء الذين اختطوا لأنفسهم فى ذلك الزمن القديم منهجا علميا فى جمع الحديث وروايته فراضوا أنفسهم على مشاق الأسفار طلبا للحديث ، وتوفروا السنين الطوال على التحقيق التاريخى ، ووضعوا أمامهم مقاييس جديرة بالاعتبار ساروا عليها فى تقدير رواة الأحاديث .

والحق أنهم بذلك قدموا الإسلام وللمسلوم الإسلامية يدا مشكورة وحفظوا للمسلمين المصدر الثانى الرئيسى من مصادر التشريع بعد كتاب الله .

كان المسلمون فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمعون لكل ماينطق به بقلوب واعية وآذان صاغية، ويلتزمون الدقة والحيطة فى رواية أحاديثه فى مناسباتها الضرورية ، ويأخذون بتلابيب من لم يطمئنوا لحفظه ، ولم يعرف عنه ـ صلوات الله عليه ـ أنه شجع أصحابه على كتابة حديثه ، بل ورد فى بعض الأحاديث أنه نهاهم أن يكتبوا عنه غير القرآن . فلما أختاره الله لجواره ، واتسعت رقعة الإسلام ، وكثر النقل والرواية ، وتعددت الأحزاب السياسية والمذهبية، شعر السلف الصالحون أن الوضع قد تسرب إلى الأحاديث النبوية ، وأن الموقف قد أصبح يدعو إلى مزيد من العناية فى التثبت من صحة ما يروى ، وتعرف أحوال رواته ـ أو رجال إسناده ـ من الصدق والضبط ، بل لم يلبث أهل الغيرة على مصادر الدين أن شعروا بضرورة جمع السنة فى كتاب، وكان من أظهر من دعا إلى هذا عمر ابن عبد العزيز ثم أبو جعفر المنصور.

وقد نفذت الفكرة فى القرن الثانى الهجرى فى نطاق محلى على يد جماعة من العلماء أشهرهم الإمام مالك بن أنس صاحب « الموطأ » .

فلما جاء القرن الثالث الهجرى خطت هذه الحركة خطوات أوسع وأعمق أثراً ، فألفت مجموعات الكتب التى اشتهرت بالكتب الستة ، والتى كانت ولا تزال عماد الدارسين للحديث والسنة . وخير هذه المجموعات وأدقها اثنان عرفا بالصحيحين ، وإنى مقدم إليكم جامع أحد الصحيحين ومن أقر له الجمهور بالسبق والفضل ، ومن جمع فى صحيحه أكثر من سبعة آلاف من صحاح الحديث ، ومن طوف فى البلاد الإسلامية ستة عشر عاما فى سبيل هذه المهمة وهو الإمام البخارى .

ولد أبو عبد الله محمد بن إسماعيل فى بخارى من إقليم خراسان سنة ١٩٤ هـ . فى أيام النزاع بين المأمون والأمين ، وتوفى فى سنة ٢٥٦ هـ . وكان أبوه رجل علم ، وورع ، وقد توفى الأب والطفل صغير . فنشأ يتيما فى حجر والدته ، ولكن الله وهبه من صغره موهبتى الحفظ وقوة الفهم ، ووجهه إلى استعمال هاتين الموهبتين فى العناية بحديث رسول الله ، وقد وصف هو

مراحل جهاده فى هذه الناحية : فذكر أنه ألهم حفظ الحديث فى المكتب ، وله عشر سنين أو أقل ، ثم خرج من المكتب فجعل يختلف إلى علماء الحديث ، ولم يلبث أن تكشفت لهم من حدة ذهنه وقوة حفظه عجائب وآيات ، وما بلغ السادسة عشرة حتى كان قد حفظ كثيراً من كتب السابقين ثم خرج إلى مكة مع أهله حاجا ، وأقام يطلب الحديث فيها وفى المدينة على كبار المحدثين . وصنف كتابه التاريخ الكبير - وهو ابن ثمان عشرة سنة - عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم فى الليالى المقمرة ، كما يقول .

وبعد أن رجع من مكة ارتحل إلى سائر مشايخ الحديث فى البلدان التى أمكنته الرحلة إليها . فزار معظم مراكز العلم فى مصر والشام والعراق وأقاليم فارس . وما برح يدأب ويجتهد ، حتى صار - كما يقول شارحه القسطلانى المصرى - « أنظر أهل زمانه ، وفارس ميدانه ، والمقدم على أقرانه ، وامتدت إليه الأعين ، وانتشر صيته فى البلدان ، ورحل إليه من كل مكان » .

وتروى تراجمه فى هذا روايات ، تبدو فيها أحياناً المبالغة ، ولكنها من الكثرة وتعدد المصادر بحيث يقوى بعضها بعضا : فقد بلغ من سرعة حفظه - كما يقولون - أنه كان ينظر فى الكتاب نظرة واحدة فيحفظ مافيه ، وسمع بعضهم بعجائب أخباره ، فخرج فى طلبه ، فلقيه فقال له : أنت الذى تقول : أنا أحفظ سبعين ألف حديث! فأجابه البخارى الشاب : نعم وأكثر ، ولا أجيبك بحديث عن الصحابة والتابعين إلا من عرفت مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم ، ولست أروى حديثا من حديث الصحابة والتابعين إلا ولى فى ذلك أصل أحفظه حفظا عن كتاب الله وسنة رسوله . ويظهر أن شيوع هذه الأخبار عنه أثار فضول الأقران وأغراهم بتعجيزه ومحاولة ايقاعه فى الخطأ : ذكروا أنه قدم بغداد فاجتمع أصحاب الحديث ، وعمدوا إلى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها ، ودفعوا إلى كل واحد عشرة أحاديث ليلقوها على البخارى فى المجلس امتحاناً . فلما اجتمع الناس واطمأن المجلس بأهله قام أحدهم فسأله عن حديث من تلك العشرة : فقال البخارى له أعرفه : فسأله عن آخر فقال له : أعرفه وهكذا حتى فرغ من العشرة ، فكان الفقهاء يلتفت بعضهم إلى بعض ويقولون أنه فهم ، وكان من لا يدرى يظن به العجز

وعدم الفهم . ثم قام الثانى والثالث . . إلى آخر العشرة . فلما فرغوا التفت هو إلى الأول فقال : أما حديثك الأول فقلت كذا وصوابه كذا ، وحديثك الثانى كذا وصوابه كذا ، حتى أتى على تمام العشرة ، فرد كل متن إلى اسناده ، وكل اسناد إلى متنه . وفعل بالآخرين مثل ذلك ، فأقر الناس له بالحفظ وأذعنوا له بالفضل . وأثر عن بعضهم أنه قال : جالست الفقهاء والعباد والزهاد ، فما رأيت منذ عقلت مثل محمد بن إسماعيل ، وهو فى زمانه كعمر فى الصحابة ، وقال آخر : رأيت العلماء بالحرمين والحجاز والشام والعراق فما رأيت فيهم أجمع من محمد بن إسماعيل ، وروى ثالث أنه سمع أكثر من ثلاثين عالماً من علماء مصر يقولون : حاجتنا فى الدنيا النظر إلى محمد بن إسماعيل . وكتب إليه أهل بغداد كتابا جاء فيه : المسلمون بخير ما بقيت لهم

وليس بعدك خير حين تفتقد

كان هذا الرجل - إذن - نابغة فى مواهبه العقلية ، وكان مثلا من أمثلة الصبر والدأب فى طلب العلم والانقطاع إليه . ولكن هناك جوانب أخرى من عظمته ، لا تقل عن هاتين جلالا ، ضمنت له الخلود على صفحة الزمن : ذلك أنه سلك فى جمع الحديث مسلك التحقيق العلمى التاريخى : فوجه عنايته إلى دراسة أحوال الرواة وصفاتهم ، منذ عهد الرسول إلى أيامه ويبدو أنه قصر اختياره من بين مئات الألوف من الأحاديث التى جمعها على الأحاديث التى يتوفر فى رواتها مع الإسلام الصدق والضبط والثقة والعدالة ، وسلامة الذهن والاعتقاد ، والخلو من الوهم والاختلاط . وقد رتب هذه الأحاديث الكثيرة التى جمعها فى الجامع الصحيح فى كتب تشتمل أبوابا فى الإيمان والعلم والعبادات والمعاملات والحدود والسيرة والجهاد والتفسير وأدب الاجتماع . وكان إلى جانب مواهبه وسلامة منهجه العلمى نموذجا من نماذج الإسلام فى الحياء والشجاعة والورع والزهد . ومع أن عمله العلمى كان يقتضيه الخوض فى صفات الرواة وفى التجريح والتضعيف ، فإن أقصى ما كان يصف به الرجل المتروك أو الساقط أن يقول : « فيه نظر » ، أو « سكتوا عنه » ، ولا يكاد يقول فلان كذاب !

وكان إلى تواضعه أبى النفس حريصا على كرامة العلم : ذكروا أنه لما رجع إلى « بخارى » ، نصبت له القباب على فرسخ من البلد ، واستقبله عامة أهلها ، ونثرت عليه الدراهم والدنانير ، وبقى مدة يحدثهم ، فأرسل إليه أمير البلد

نائب الخلافة العباسية يتلطف معه ويسأله أن يحضر منزله فيقرأ الجامع الصحيح والتاريخ الكبير على أولاده، فامتنع البخارى من ذلك وقال لرسوله: قل له أنا لا أذل العلم، ولا أحمله إلى أبواب السلاطين، فإن كانت له حاجة إلى شيء منه فليحضر إلى مسجدى أو دارى.

وقد روى صحيح البخارى من مؤلفه خلق كثير، يقدره بعضهم بتسعين ألف رجل، واعتنى كثير من الأئمة بشرح الكتاب أو اختصاره أو التعليق عليه، وأخذ علماء مصر بحظهم من العناية بهذا الكتاب - خلال العصور - ومن أشهرهم العينى، والسيوطى والقسطلانى. وقد ترجم للبخارى من علماء مصر فى العصر الحديث أحمد أمين ونقد منهجه نقدا منصفا فى كتابه «ضحى الإسلام».

وبعد فأولئك هم أعلام الإسلام وأركان نهضته العلمية، سبقوا الدنيا بحثا وتحقيقا، وضربوا لها الأمثال فى الجهاد من أجل العلم، وفى المحافظة على كرامة العلماء، وخلفوا لمن بعدهم من المسلمين ذخائر من العلم الصحيح جديرة بأن تشد فى طلبها الرحال، وأن ينهل منها كل مسلم ومسلمة.

بين هارون الرشيد وجعفر البرمكى

استدعى هارون الرشيد جعفر البرمكى لتأدية شهادة بين يديه، وكان قد استشهد به أحد طرفى الخصومة فى قضية ... فلما مثل بين يدى الخليفة، سأله أأنت شاهد فى هذه الخصومة ياجعفر؟ فقال نعم!!

يامولاى، فرد عليه الخليفة — هارون — وقال له: إما أنك تقولها بعقيدة أو غير ذلك، فإن كان الأول فأنت خاطئ العقيدة؛ فالمولى الله وحده وإن كان الثانى فأنت كاذب، وفى كلتا الحالتين فأنت لست أهلا للشهادة..

من روائع تراثنا القديم

المحبة الالهية

لحجة الإسلام الإمام الغزالى

اعلم أن اللذات تابعة للإدراكات ، والإنسان جامع لجملة من القوى والغرائز . ولكل قوة وغريزة لذة ، ولذتها فى نيلها لمقتضى طبعها الذى خلقت له ، فإن هذه الغرائز ما ركبت فى الإنسان عبثا ، بل ركبت كل قوة وغريزة لأمر من الأمور هو مقتضاها بالطبع . فغريزة الغضب خلقت للتشفى والانتقام ؛ فلا جرم لذتها فى الغلبة والانتقام الذى هو مقتضى طبعها . وغريزة شهوة الطعام مثلا خلقت لتحصيل الغذاء الذى به القوام ، فلا جرم لذتها فى نيـــل هذا الغذاء الذى هو مقتضى طبعها . وكذلك لذة السمع والبصر والشم فى الإبصار والاستماع والشم . فلا تخلو غريزة من هذه الغرائز عن ألم ولذة بالإضافة إلى مدركاتها فكذلك فى القلب غريزة تسمى النـــور الإلهى لقوله تعالى « أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه » وقد تسمى البصيرة الباطنة ، وقد تسمى الإيمان واليقين !

ولا معنى للاشتغال بالأسامى ، فإن الاصطلاحات مختلفة والضعيف يظن أن الاختلاف واقع فى المعانى ، لأن الضعيف يطلب المعانى من الألفاظ وهو عكس الواجب ، فالقلب مفارق لسائر أجزاء البدن بصفة بها يدرك المعانى التى ليست متخيلة ولا محسوسة كادراكه خلق العالم أو افتقاره إلى خالق قديم مدبر حكيم موصوف بصفات آلهية . ولتسم تلك الغريزة عقلا بشرط أن لا يفهم من لفظ العقل ، ما يدرك به طرق المجادلة والمناظرة ، فقد اشتهر اسم العقل بهذا ، ولهذا ذمه بعض الصوفية ، وإلا فالصفة التى فارق الإنسان بها البهائم ، وبها يدرك معرفة الله تعالى ، أعز الصفات فلا ينبغى أن تذم . وهذه الغريزة خلقت ليعلم بها حقائق

الأمور كلها ، فمقتضى طبعها المعرفة والعلم وهى لذتها ، كما أن مقتضى سائر الغرائز هو لذتها !

وليس يخفى أن فى العلم والمعرفة لذة ، حتى إن الإنسان لا يكاد يصبر عن التحدى بالعلم والتمدح به فى الأشياء الحقيرة ، فالعلم باللعب بالشطرنج على خسته لا يطيق السكوت فيه عن التعليم ، وينطلق لسانه بذكر ما يعلمه . وكل ذلك لفرط لذة العلم وما يستشعره من كمال ذاته به ، فإن العلم من أخص صفات الربوبية وهى منتهى الكمال ، ولذلك يرتاح الطبع إذا أثنى عليه بالذكاء وغزارة العلم ، لأنه يستشعر عند سماع الثناء كمال ذاته ، وكمال علمه ، فيعجب بنفسه ويلتذ به !

ثم ليست لذة العلم بالحراثة والخياطة ، كلذة العلم بسياسة الملك وتدبير أمر الخلق ، ولا لذة العلم بالنحو والشعر ، كلذة العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته وملكوت السموات والأرض ، بل لذة العلم بقدر شرف العلم ، وشرف العلم بقدر شرف المعلوم . حتى إن الذى يعلم بواطن أحوال الناس ويخبر بذلك يجد له لذة ، وإن جهله تقاضاه طبعه أن يفحص عنه ، فإن علم بواطن أحوال رئيس البلد وأسرار تدبيره فى رياسته ، كان ذلك ألذ عنده وأطيب من علمه بباطن حال فلاح أو حائك ، فإن اطلع على أسرار الوزير وتدبيره وما هو عازم عليه فى أمور الوزارة ، فهو أشهى عنده وألذ من علمه بأسرار الرئيس ، فإن كان خبيرا بباطن أحوال الملك والسلطان الذى هو المستولى على الوزير ، كان ذلك أطيب عنده وألذ من علمه بباطن أسرار الوزير ، وكان تمدحه بذلك وحرصه عليه وعلى البحث عنده أشد ، وحبه له أكثر ، لأن لذته فيه أعظم !

فبهذا استبان أن ألذ المعارف أشرفها ، وشرفها بحسب شرف المعلوم فإن كان فى المعلومات ما هو أجل وأعلى وأشرف وأكمل وأعظم من خالق الأشياء كلها ومكملها ومزينها ومبدئها ومعيدها ومدبرها ومرتبها ؟ وهل يتصور أن يكون حضرة فى الملك والكمال والجمال والبهاء والجلال وأعظم من الحضرة الربانية التى لا يحيط بمبادىء جلالها وعجائب أحوالها وصف الواصفين ؟ فإن كنت لا تشك فى ذلك فلا ينبغى أن تشك فى أن الاضطلاع على أسرار الربوبية والعلم بترتب الأمور الإلهية المحيطة بكل الموجودات ، هو أعلى أنواع المعارف والاطلاعات وألذها وأطيبها وأشهاها . وأحرى ما تستشعر به النفوس عند الاتصاف به كمالها

وجمالها ، وأجدر ما يعظم به الفرح والارتياح والاستبشار .

وبهذا تبين أن العلم لذيذ وأن ألذ العلوم ، العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وتدبيره فى مملكته من منتهى عرشه إلى تخوم الأرضين . فينبغى أن يعلم أن لذة المعرفة أقوى من سائر اللذات ، أعنى لذة الشهوة والغضب ولذة سائر الحواس الخمس ، فإن اللذات مختلفة بالنوع أولا ، كمخالفة لذة الوقاع للذة السماع ولذة المعرفة للذة الرياسة ، وهى مختلفة بالضعف والقوة كمخالفة لذة الشبق المغتلم من الجماع للذة الفاتر الشهوة ، وكمخالفة لذة النظر إلى الوجه الجميل الفائق الجمال للذة النظر إلى ما دونه فى الجمال !

فنعود ونقول : اللذات تنقسم إلى ظاهرة كلذة الحواس الخمس ، وإلى باطنة كلذة الرياسة والغلبة والكرامة والعلم وغيرها ، إذ ليست هذه اللذة للعين ولا للأنف ولا للأذن ولا للمس ولا للذوق . والمعانى الباطنة أغلب على ذوى الكمال من اللذات الظاهرة .

وهذا الآن لا يعرفه إلا من ذاق اللذتين جميعا ، فإنه لا محالة يؤثر التبتل والفكر والذكر وينغمس فى بحار المعرفة ويترك الرياسة ويستحقر الخلق الذين يرؤسهم لعلمه بفناء رياسته وفناء من عليه رياسته ، وكونه مشوبا بالكدورات التى لا يتصور الخلو عنها ، وكونه مقطوعا بالموت الذى لا بد من إتيانه مهما أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها — فيستعظم بالإضافة إليها لذة معرفة الله تعالى وصفاته وأفعاله ونظام مملكته من أعلى عليين إلى أسفل سافلين ، فإنها خالية من المزاحمات والمكدرات ، متسعة للتواردين عليها لا تضيق عنهم بكبرها ، وإنما عرضها من حيث التقدير للسموات والأرض وإذا خرج النظر عن القدرات فلا نهاية لعرضها فلا يزال العارف بمطالعتها ، فى جنة عرضها السموات والأرض يرتع فى رياضها ويقطف من ثمارها ويكرع من حياضها وهو آمن من انقطاعها ؛ إذ ثمار هذه الجنة غير مقطوعة ولا ممنوعة ، ثم هى أبدية سرمدية لا يقطعها الموت ، إذ الموت لا يهدم محل معرفة الله تعالى ، ومحلها الروح الذى هو أمر ربانى سماوى . وإنما الموت يغير أحوالها ويقطع شواغلها وعوائقها ويخليها عن جنسها ، فأما أن يعدمها فلا ! .. « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله

من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم .. الآية ..

ولا تظن أن هذا مخصوص بالمقتول فى المعركة . فإن للعارف بكل نفس درجة ألف شهيد . وفى الخبر أن الشهيد يتمنى فى الآخرة أن يرد إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى لعظم ماراه من ثواب الشهادة ، وأن الشهداء يتمنون لو كانوا علماء لما يرونه من علو درجة العلماء . فإذا جميع أقطار ملكوت السموات والأرض ميدان العارف يتبوأ منه حيث يشاء من غير حاجة إلى أن يتحرك إليها بجسمه وشخصه فهو من مطالعة جمال الملكوت فى جنة عرضها السموات والأرض ، وكل عارف فله مثلها من غير أن يضيق بعضهم على بعض أصلا ، إلا أنهم يتفاوتون فى سعة منتزهاتهم بقدر تفاوتهم فى اتساع نظرهم وسعة معارفهم . وهم درجات عند الله ولا يدخل فى الحصر تفاوت درجاتهم !

فهذا القدر ينبهك على أن معرفة الله سبحانه ألذ الأشياء ، وأنه لا لذة فوقها ولهذا قال أبو سليمان الدارانى : إن لله عباداً ليتس يشغلهم عن الله خوف النار ولا رجاء الجنة فكيف تشغلهم الدنيا عن الله ؟ ولذلك قال بعض إخوان معروف الكرخى له : أخبرنى يا أبا محفوظ : أى شىء هاجك إلى العبادة والانقطاع عن الخلق ؟ فسكت وقال : ذكر الموت ! فقال : وأى شىء الموت ؟ فقال : ذكر القبر والبرزخ ! فقال : وأى شىء القبر ؟ فقال : خوف النار ورجاء الجنة . فقال : وأى شىء هذا ! إن ملكا هذا كله بيده إن أحببته أنساك جميع ذلك وإن كانت بينك وبينه معرفة كفاك جميع هذا !

وفى أخبار عيسى عليه السلام : إذا رأيت الفتى مشغولا بطلب الرب تعالى ، فقد ألهاه ذلك عما سواه !

ورأى بعض الشيوخ بشر بن الحارث فى النوم فقال : ما فعل أبو نصر التمار وعبدالوهاب الوراق ؟ فقال : تركتهما الساعة بين يدى الله تعالى يأكلان ويشربان قلت : فأنت ؟ قال : علم الله قلة رغبتى فى الأكل والشرب فأعطانى النظر إليه !

وعن على بن الموفق قال . رأيت فى النوم كأنى أدخلت الجنة فرأيت رجلا قاعداً على مائدة وملكان عن يمينه وشماله ، يلقمانه من جميع الطيبات وهو يأكل ورأيت رجلا قائماً على باب الجنة يتصفح وجوه الناس ، فيدخل بعضا ويرد

بعضها . قال : ثم جاوزتهما إلى حظيرة القدس ، فرأيت فى سرادق العرش رجلا قد شخص ببصره ينظر إلى الله تعالى لا يطرف ، فقلت لرضوان : من هذا ؟ فقال : معروف الكرخى ! عبد الله لا خوفا من ناره ولا شوقا إلى جنته بل حبا له ، فأباحه النظر إليه إلى يوم القيامة ! وذكر أن الآخرين بشر بن الحارث وأحمد ابن حنبل

ولذلك قال أبو سليمان : من كان اليوم مشغولا بنفسه فهو غداً مشغول بنفسه ومن كان اليوم مشغولا بربه . فهو غداً مشغول بربه . وقال الثورى لرابعة : ما حقيقة إيمانك ؟ قالت . ما عبدته خوفا من ناره ولا حبا لجنته ، فأكون كالأجير السوء ، بل عبدته حبا له وشوقا إليه . وقالت فى معنى المحبة نظما :

أحبك حبين : حب الهوى ... وحبا لأنك أهل لذاكا
فأما الذى هو حب الهوى ... فشغلى بذكرك عن سواكا
وأما الذى أنت أهـــل له ... فكشفك لى الحجب حتى أراكا
فلا الحمـــد فى ذا ولا ذاك لى ... ولكن لك الحمد فى ذا وذاكا !

ولعلها أرادت بحب الهوى ، حب الله لإحسانه إليها ، وإنعامه عليها بحظوظ العاجلة ؛ وبحبها لما هو أهل له الحب ، لجماله وجلاله الذى انكشف لها وهو أعلى الحبين وأقواهما .

ولذة مطالعة جمال الربوبية ، هى التى عبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال حاكيا عن ربه تعالى : أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

وقد تتعجل بعض هذه اللذات فى الدنيا لمن انتهى صفاء قلبه إلى الغاية ، ولذلك قال بعضهم : إنى أقول يارب يا الله ، فأجد ذلك على قلبى أثقل من الجبال ، لأن النداء يكون من وراء حجاب : وهل رأيت جليسا ينادى جليسه ؟ وقال : إذا بلغ الرجل فى هذا العلم الغاية ، رماه الخلق بالحجارة ، أى يخرج كلامه عن عقولهم فيرون ما يقوله جنوناً أو كفراً . فقصد العارفين كلهم وصله ولقاؤه فقط ، فهى قرة العين التى لا تعلم نفس ما أخفى لهم منها . وإذا حصلت انمحت الهموم والشهوات كلها ، وصار القلب مستغرقا بنعيمها ؛ فلو ألقى فى النار لم يحس بها

لاستغراقه ، ولو عرض عليه نعيم الجنة ، لم يلتفت إليه لكمال نعيمه وبلوغه الغاية التى ليس فوقها غاية !

وليت شعرى من لم يفهم إلا حب المحسوسات كيف يؤمن بلذة النظر إلى وجه الله تعالى ، وما له صورة ولا شكل ؟ وأى معنى لما وعد الله تعالى به عباده وذكره أنه أعظم النعم ؟ بل من عرف الله عرف أن اللذات المفرقة بالشهوات المختلفة ، كلها تنطوى تحت هذه اللذة ، كما قال بعضهم :

كانت لقلبي أهـــواء مفرقة ... فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائى
فصار يحسدنى من كنت أحسده ... وكنت مولى الورى ، مذ صرت مولائى
تركت للناس دنيـــاهم ودينهم ... شغلا بذكرك ، يادينى ودنيائى !

ولذلك قال بعضهم :

وهجـــره أعظـــم من ناره ... ووصـــله أطيب من جنته !

وما أرادوا بهذا إلا إيثار لذة القلب فى معرفة الله تعالى عن لذة الأكل والشرب والنكاح ، فإن الجنة معدن تمتع الحواس ، فأما القلب فلذته فى لقاء الله !

التكافل الاجتماعى

روى أنس عن أبيه قال : قال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه .

فضل جاهك تعود به على أخيك الذى لا جاه له صدقة منك على أخيك

وفضل لسانك تعبر به عن لسان أخيك الذى لا لسان له صدقة منك عليه .

وفضل قوتك تعود بها على أخيك الذى لا قوة له ، صدقة منك عليه

وفضل علمك تعود به على أخيك الذى لا علم له ، صدقة منك عليه .

وإماطتك الأذى عن الطريق صدقة منك على أهله .

وإذا سألك عبادى عنى

فانى قريب ...

للأستاذ محمود حلمى

قال تعالى : « وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون » . (البقرة ١٨٦)

سبحانك ربى أتيت بآية تخص الدعاء وسط آيات الصوم لندرك أن هناك علاقة كبيرة بين الصوم والدعاء، وهذه العلاقة يفسرها قوله صلى الله عليه وسلم : « ثلاث حق على الله ألا يرد لهم دعوة : الصائم حتى يفطر ، والمظلوم حتى ينتصر ، والمسافر حتى يرجع » .

فالصائم إذاً مستجاب الدعوة لأن أسباب الاستجابة توفرت لديه . إنه ترك طعامه وشرابه وفحشه فى النهار ، وقضى نهاره يسبحك ويكبرك ويعظمك فإذا جاء الليل أفطر وقام يصلى التراويح ، ويسجد لجلالك . فهو مهيأ بما شرعت له فى رمضان لأن يتصل بك ، وكيف يتصل بك إلا عن طريق فى قلبه الذى هو موضع نظرك . لقد صفا قلبه واستعد لأن تتجلى عليه برحمتك يا أرحم الراحمين ، فليكن إذاً لسانه ترجمان قلبه ، وليسألك فإنك أقرب إليه من حبل الوريد .

هذه هى المناسبة بين الدعاء والصوم ولذلك جاءت آية الدعاء بين آيات الصوم .

« وإذا سألك عبادى عنى » جاء فى أسباب النزول أن المسلمين قالوا يا رسول الله أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه ؟ فأنزل الله الآية .

هذا سبب نزولها ولكنها عامة شاملة للجميع .

أنظر إلى روعة الخطاب من رب العالمين إلى رسوله صلى الله عليه وسلم « فإنى قريب » القرب حقيقة

فى القرب المكانى المنزه عنه تعالى ، فهو استعارة لعلمه تعالى بأفعال العباد وأقوالهم واطلاعه على سائر أحوالهم

« أجيب دعوة الداع إذا دعان »

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: يدعو الله بالمؤمن يوم القيامة حتى يوقفه بين يديه فيقول : عبدى إنى أمرتك أن تدعونى ، ووعدتك أن أستجيب لك ، فهل كنت تدعونى ؟ فيقول نعم يارب ، فيقول أما إنك لم تدعنى بدعوة إلا استجبت لك أليس دعوتنى يوم كذا وكذا لغم نزل بك أن أفرج عنك ففرجت عنك ؟ فيقول نعم يارب ، فيقول إنى عجلتها لك فى الدنيا ودعوتنى يوم كذا وكذا لغم نزل بك أن أفرج عنك فلم تر فرجاً ، قال نعم يارب ، فيقول إنى ادخرت لك بها فى الجنة كذا وكذا ، ودعوتنى فى حاجة أقضيها لك فى يوم كذا وكذا فتضيتها ؟ فيقول نعم يارب ، فيقول إنى عجلتها لك فى الدنيا ، ودعوتنى يوم كذا وكذا فى حاجة أقضيها لك فلم تر قضاءها ؟ فيقول نعم يارب ، فيقول إنى ادخرت لك بها فى الجنة كذا وكذا . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يدع الله دعوة دعا بها عبده المؤمن إلا بين له إما أن يكون عجل له فى الدنيا وإما أن يكون ادخر له فى الآخرة ، قال فيقول المؤمن فى ذلك المقام ياليته لم يكن عجل له شيء من دعائه (الحاكم)

وكذلك بين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أسرار إجابة الدعاء

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم أعطاه الله بها إحدى ثلاث : إما أن يعجل له دعوته وإما أن يدخرها له فى الآخرة ، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها قالوا إذا نكثر قال الله أكثر .

(أحمد وغيره)

يفهم من ذلك أن الله يجيب دعوة الداع إذا دعاه ، وأنه سبحانه يجعل الإجابة كيف يشاء ، إما يعجلها ، وإما يؤجلها ، وإما يمنحه عوضاً عنها

« فليستجيبوا لى » أى فليستجيبوا لى فيما أمرتهم به ومانهيتهم عنه ، أى فليطيعونى ، ومتى أطاعونى كانوا ربانيين إذا دعانى أحدهم أجبته ، وإذا سأل أعطيته .

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن

النبي صلى الله عليه وسلم قال : ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه.
(الترمذى)

فلا بد أن يصدر دعاؤك من قلب مؤمن بالله موقن أن الله يستجيب هذا الدعاء وإلا فلا إجابة ولا استجابة

وهذه اليقظة القلبية ، وهذا اليقين بالله الذى هو شرط إجابة الدعاء ، لا يتأتى لك إلا بطاعتك له ، إلا بالاستجابة لله فيما أمر وفيما نهى.

« وليؤمنوا بى » ولا يمكنك أن تستجيب لله إلا إذا آمنت به سبحانه وداومت على هذا الإيمان ، لأنك إذا لم تؤمن به لم تطع له أمراً .

والإيمان بالله هو التصديق بذاته وصفاته .

أما التصديق بالذات فهو التصديق بوجوده سبحانه .

وأما التصديق بالصفات فهو التصديق بها كلها ، بأنه سميع يسمع الدعاء ، مجيب يجيب الدعاء ، قدير يقدر على ما يشاء ، عليم يعلم إن كنت صادقاً فى دعائك أم كاذبا ، رحيم ورحمته تسع كل شيء . . . وهكذا فمتى كنت مؤمناً بذاته وصفاته أيقنت أنه يقدر أن يمنحك ما يشاء ، وأنه يسمع دعواتك هذه . حينئذ يصدر عنك الدعاء خالصاً إليه سبحانه .

فطريق الاستجابة هو الإيمان بالله فما ثمرة الإيمان والاستجابة إذاً ؟ هو الرشاد .

« لعلهم يرشدون » أى لعلهم باستجابتهم لى وإيمانهم بى يصيروا من الراشدين أى من الذين علموا الخير فاتبعوه ، وعلموا الشر فاجتنبوه . والرشاد بينه الله تعالى فى قوله : « ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه فى قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون . »

فالرجل الراشد هو الرجل الذى يحب الإيمان ويكره الكفر والفسوق والعصيان .

وهذه الحاسة لا تتكون فى قلب إنسان إلا بفضل الله ، لأنه هو الذى يحبب إليك الإيمان ويزينه فى قلبك ، وهو الذى يكره إليك الكفر والفسوق والعصيان .

ولذلك قال (لعلهم يرشدون) أى أن الرشاد ليس مبنيا على الاستجابة والإيمان ، وإنما هو فضل أمنّ به على من أشاء من عبادى ، وإنما جعلت الطاعة والإيمان سبباً له كما أن استجابة الدعاء ليست شرطاً علىّ ، وإنما أنا الفعال لما أريد ، أجيب

من أشاء ، وأرفض من أشاء ، لأن هذا هو اللائق بجلالى ، وهو اللائق بعظمتى ، ولكن ليثق كل مؤمن بى ، أنى حيى كريم أستحى أن يرفع عبدى إلىّ يديه وأردهما خائبتين .

الدعاء يتلخص فى الآتى :

١ — العبد يدعو وهو مستجيب لله مؤمن به .

٢ — الله يجيب الدعاء إذا استوفى العبد شروطه وهى الطاعة والإيمان

٣ — الدعاء يجاب بإحدى ثلاث إما تعجيله ، وإما تأخيره إلى الآخرة ، وإما استبداله فى الدنيا بخير آخر .

٤ — الدعاء لايجاب إذا صدر عن قلب غافل لاه .

أما إجابة دعوة المظلوم ولو كان كافراً فلأن الكافر إذا التجأ إلى الله كان فى حالة التجائه هذه مستجيباً لله مؤمناً به . لأن معنى التجائه إلى الله إيمانه ، ومعنى مناداته له وحده دون سواه استجابته لربه .

فالكافر المظلوم فى حالة دعائه لله يكون فى حالة إيمان واستجابة مؤقتة ؛ وهذا هو سر استجابة دعائه .

٥ — لله بعد ذلك كله مطلق الحرية كما قال سبحانه « فيكشف ما تدعون إليه إن شاء ،فإن شاء رفع الدعاء إليه ، وإن شاء لم يرفعه . فلا إيجاب على الله فى شئ وإنما الإيجاب على العباد . فان قبل دعاء المؤمنين فانما قبله تفضلا لاإيجاباً وإن رده فإنما يرده عدلا .

٦ — من علم أن له رباً يجب الدعاء فعليه أن يطمع فى رحمته .ويكثر من الدعاء ، فهو لاشك مصيبه من رحمته ، إما فى الدنيا وإما فى الآخرة وهذا هو سر استجباب الإكثار من الدعاء والنهى عن الملل منه ، كما قال صلى الله عليه وسلم « يستجاب لأحدكم مالم يعجل يقول دعوت فلم يستجب »

وفى الحقيقة أن الدعاء هو مخ العبادة حقاً .

ذلك أن الدعاء الصادق الخالص إنما يصدر عن قلب الشخص ، بينما العبادة تصدر عن جوارح الإنسان .

فالدعاء هو خضوع القلب لله :

وهو مستجاب ما كان عن إخلاص واتجاه الى لله .

وهو ألزم مايكون للصائم لأن الصائم فى حالة استعداد طبيعى لأن يتصل بالله.

وهكذا ينقلنا القرآن بهذه الآية الكريمة من جو الصيام وأحكامه إلى جو الدعاء وأحكامه ، ليعلمنا أن الصيام من الحالات الموجبة للإجابة .

وعلى هذا ينبغى لكل صائم وصائمة أن يتجه دائما إلى الله , وأن يدعو دائما ، ويرجو دائما ،إنه قريب يجيب دعوة الداع إذا دعاه .

القرآن . المصدر الأول للتصوف

بقلم: الدكتور
مصطفى كمال وصفى

زعم الزاعمون أن التصوف فلسفة لاحقة طرأت على حياة الأمة الإسلامية ، بعد أن تأثرت بدراسات الإغريق والفرس والهنود وحكمهم ، وأنه دخيل على الإسلام .

ولكن الحق الذى لا مراء فيه هو أن التصوف هو روح الدين ولبابه وجوهره ، وأن فهمه والسلوك به ، هو الفهم الصحيح للدين ، والسلوك على صراطه المستقيم . وأن القرآن هو مصدره الأول ، وأن الرسول عليه أزكى الصلاة والسلام هو الصوفى الأول .

فكما نعلم ، فإن الدين عمل وإيمان . وأن التصوف هو منهج الإرشاد إلى الإيمان . فهو يعلم الإنسان كيف يتوب إلى الله ، وكيف يطهر قلبه من المفاسد والحجب ويملؤه إيمانا ويسلك بعد ذلك خالصاً لله ، ويحذره السقطات والمزالق وسوء الخاتمة .

فكيف نقول إن الدين نزل بدون ذلك ، أو أن مناهج الإيمان دخيلة طارئة عليه أو أنه استعارها من الإغريق أو الفرس أو الهنود أو غيرهم . اللهم إلا إن كان القائل غير فاهم للصوفية على حقيقتها ، أو كان ذهنه ملتبساً بغيرها .

وقد اتفق السلف الصالح من أسناد الصوفية وأشياخها أن التصوف لا بد أن يستند إلى القرآن والسنة . وأن كل طريقة خالفت الشريعة ، وكل حقيقة لم تساير أصول القرآن والسنة ، تكون فاسدة لا يعتد بها . بذلك قال الإمام القشيرى ، والإمام أحمد الرفاعى والإمام الغزالى وغيرهم من الثقات .

وإن المتدبر لأحكام القرآن ليراه يدور - فيما يدور به - حول إرساء الأصول الصوفية وإقرارها .

فقد عنى القرآن عناية خاصة بتحليل الإيمان وخصائصه وأسبابه ، وتحليل نقائصه من الكفر والشرك والنفاق ، وبيان أسبابها وصفاتها . وعنى عناية كبرى ببيان دسائس النفس وعجائب القلب . ثم شرح وسائل زيادة الإيمان وتنميته فى النفس ، وضرب الأمثلة المستفيضة من القصص الطويل الذى يتعظ به السالك وينصح المتجه إلى الله ، فيريه معنى سوء الخاتمة بأمثلة واضحة ، ومعنى الغرور وعاقبة نكث العهد والتلاعب به ، ويريه أحوال الصالحين والمؤمنين ، وأحوال الطالحين والمجرمين . مما استخلص منه الصوفية مناهجهم وأشرقت به نفوسهم .

* * *

غير أن القرآن يعمد فى كثير من الأحيان إلى التورية ، حتى ليخفى الأمر على غير من هم أهل لفهمه . فهو كثيراً ما يعمد إلى المجاز حيث يظن القارئ أنه يقصد إلى الحقيقة . كتوريته أحيانا القلب بالقرية أو البيت ، وعُمّاره بالصالحين والكافرين . وتوريته الجسد بالأرض ، ونزول الرحمة عليها بنزول الماء ، وغير ذلك مما يدركه العابد فى خلواته والمتذوق فى جلواته .

وأحياناً أخرى يعمد إلى الحقيقة حيث يظن أنه يقصد المجاز ، كذكره عذاب الموت وما يصحبه من الكشف والندم ، وذكره عذاب الآخرة أو نعيمها وصفات النار والجنة . فيظن بعض الغافلين أن ذلك تمثيلا وليس تحصيلا . فيفوته المعنى ولا تنطبع نفسه به . فيقرأ وهو غافل وتزيده قراءته خساراً .

ولا شك أن مجال الحديث لا يتسع للتعرض لما حفل به القرآن من معانى الإيمان . بل جمع ذلك أعلى من مستوى العقول . ويكفى أن نشير إلى أطراف من ذلك من قوله تعالى : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب . وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون . »

فجمع فى ذلك إيماناً بالغيب ، ونفقه فى سبيل الله ، وعملا صالحاً ، يعتبر به

العامل صادقاً متقياً . وصادق قوله : « الذين يؤمنون بالغيب ، ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون » . وإن حال المؤمن على ما هو عليه إلا أن يغير مافى قلبه إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

وحذر من الإيمان بعد فوات الأوان بقوله . « يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً » .

وبين أن الإيمان الخالص هو البرىء من الشرك بقوله : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » . أى بشرك كما جاء فى الحديث لقوله تعالى : « إن الشرك لظلم عظيم » وإن الناس واقعون فى ذلك لقوله : « وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين » .

ووصف حال غير المؤمنين وبين أنهم دون الأنعام . وأنه لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد . وإنه : « فلما نسوا حظاً مما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شىء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة » .

وبين أن أصل الإنسان هو الإيمان بقوله : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا » وبين ما طرأ عليه من الحجب بقوله : « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ، ذلك متاع الحياة الدنيا » وإن « المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات » . وإن منهم عدواً لنا .

ثم إن الله يحذرهم أن تنطبع قلوبهم بالآثام حتى لا ترين وتصدأ . بقوله : « بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » . وقوله : « ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن » ، لضرر ذلك على القلب وصفائه وتحوله من الإيمان إلى الغفلة .

بل نهى عن الغلو فى الدين بقوله : « يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبلُ وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل » . وقوله : « يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق » . ومدح أمتنا بأنها أمة وسطا .

ولا شك فى أن هذه الآيات وأمثالها ، التى تفتح أبوابا مستفيضة لدراسة الإيمان ، هى الوعاء الشامل والدعامة الكبرى التى ينهض على التصوف ومناهجه .

* * *

ومما تعرض له القرآن ، واقتبسه الصوفية فى مناهجهم ، بيان أسباب السلوك وطرائقه .

فبين أهمية الصحبة الصالحة بقوله : « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الدنيا ، ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا » . وقوله : « فاستقم كما أمرت ومن تاب معك » .

وبين فضائل قيام الليل بقوله : « ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً » . وقوله : « قم الليل إلا قليلا ، نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا » . وقوله : « وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل » .

ومدحه للقائمين بقوله : « الصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار » . وقوله : « الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم » .

ثم إن القرآن قد رسم عدة وسائل للذكر والاستغفار والأوقات التى يستحب بها ، ومن هذه المناهج اقتبس الصوفية طرقهم .

ومن ذلك قوله تعالى : « فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى (طه) » « فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب . ومن الليل فسبحه وأدبار السجود (ق) » .

وقوله فى وصف المتقين : « كانوا قليلا من الليل ما يهجعون . وبالأسحار هم يستغفرون » (الذاريات) .

وقوله : « وسبح بحمد ربك حين تقوم ، ومن الليل فسبحه وأدبار النجوم » . (الطور)

وقوله : « واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا . ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا » (الدهر) .

وكذلك حفل القرآن بالأدعية الصالحة التى اقتبسها الصوفية أوراداً كقوله تعالى : « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا . ربنا ولا تحمل علينا أصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين » .

وقوله : « ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ، ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لايخلف الميعاد» .

وقوله : « ربنا إننا سمعنا مناديا ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار . ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد » .

(البحث مستمر)

من أدب الإسلام

ذهب سلمان الفارسى إلى قبيلة كنده ، فخطب امرأة منها واتفق معهم على يوم الزفاف ، وحين زُفَّ مشى معه أصحابه حتى أوصلوه إلى بيت الزوجية ، ولما أصبح أقبل عليه أصحابه وجلسوا إليه وباركوا له ، ثم سألوه ، هيه يا أبا عبد الله كيف وجدت أهلك ؟ فلم يرد عليهم وإنما أعرض عنهم ، فقالوا له مرة ثانية، كيف وجدت أهلك ؟ فالتفت إليهم مغضباً وقال :

إنما جعل الله عز وجل الستور والأبواب ، لتوارى ما وراءها حسب امرىء منكم أن يسأل عما ظهر له ، فأما ما غاب عنه فلا يسألن عن ذلك . فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «المتحدث عن ذلك كالحمارين يتسافدان فى الطريق » ، فسكت القوم ولم يجيروا جوابا .

أدب الصوفيه فى الذكر

بقلم الأستاذ أبو الوفا الغنيمى التفتازانى
مدرس الفلسفة الإسلامية والتصوف
بكلية الآداب بجامعة القاهرة

قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا »

يعنى الصوفية عناية خاصة برياضة الذكر فى سلوكهم إلى الله تعالى لأنه وسيلتهم إلى التحقق بالمقامات والأحوال والوصول ، حتى أن القشيرى يقول فى رسالته : « الذكر ركن قوى فى طريق الحق سبحانه بل هو العمدة فى هذا الطريق ولا يصل أحد إلى الله تعالى إلا بدوام الذكر » .

وذكر الله عبادة إسلامية هدفها القرب من الله ، والظفر بمغفرته وأجره سبحانه ، يقول تعالى : « إن المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، والقانتين والقانتات ، والصادقين والصادقات ، والصابرين والصابرات ، والخاشعين والخاشعات ، والمتصدقين والمتصدقات ، والصائمين والصائمات ، والحافظين فروجهم والحافظات ، والذاكرين الله كثيرا والذاكرات ، أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيما » .

ويقول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا ، وسبحوه بكرة وأصيلا » .

ويقول الله تعالى : « واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفةً ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين » .

وورد فى الحديث القدسى : « أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه إذا ذكرنى ، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم » .

وعن عبد الله بن بُسْر رضى الله عنه ، أن رجلا قال : يا رسول الله : إن

شرائع الإسلام قد كثرت على فأخبرنى بشىء أتشبث به ، قال : « لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله » .

وعن أبى الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير من إعطاء الذهب والورق وأن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ، قالوا : ما ذاك يا رسول الله ؟ قال : ذكر الله تعالى .

وليس المقصود بالذكر ترديد اسم الله باللسان فقط ، فالتوبة عن الذنوب ذكر ، والتفكر فى قدرة الله وآيات صنعه ذكر ، وطلب العلم ذكر ، وطلب الرزق - إذا حسنت فيه النية - ذكر ، وكل أمر يراعى الإنسان فيه ربه ، ويؤمن فيه بأن الله رقيب عليه ، ذكر . ولذلك يقول الصوفية إن العارف هو الذاكر لله فى جميع أحواله ، والمراعى لحق الله فى جميع حركاته وسكناته ، والمشاهد لله فى جميع أوقاته .

ويستحب الاجتماع فى الذكر على طريقة الصوفية ، ولا أدل على ذلك من الحديث الشريف الذى يرويه مسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم : « لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده » . وفى الخبر المشهور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : إذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا فيها ، فقيل له : وما رياض الجنة ؟ فقال مجالس الذكر .

وقد قسم بعض الصوفية الذكر إلى قسمين : المقيد والمطلق . فالمقيد عندهم كالذكر فى الصلاة وعقبها ، وفى الحج ، وقبل النوم ، وبعد اليقظة ، وقبل الأكل ، وطرفى النهار ، وغير هذا ، ويعنى به كل ذكر مقيد بزمان أو مكان . أما المطلق فهو الذكر الذى لا يتقيد بزمان أو بمكان ، فقد يكون تلاوة للقرآن ، أو ثناء على الله ، أو توجها إليه سبحانه بدعاء أو مناجاة .

قد يكون الذكر إذن عند الصوفية بتلاوة القرآن أو بترديد أسماء الله الحسنى أو بتلاوة الأوراد ، وهذه كلها أمور ندب إليها القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وقد يكون الذكر عندهم انفراديا أو جماعيا .

وللذكر عند الصوفية وظيفتان :

وظيفة خلقية عملية من حيث إنه وسيلة إلى تطهير القلب عن صفاته الأخلاقية الذميمة وإحلال صفات أخرى حميدة محلها ، وإلى مثل هذا المعنى يشير الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : « طهارة قلوب المؤمنين وغسلها من الصدأ الصلاة على » ، وقد أمر المسلمون بالصلاة على النبي فى قوله تعالى : « إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » .

ولا شك أن ترديد السالك لذكر الصلاة على النبي وسيلة فعالة فى قهر نفسه ، وتزكية قلبه ، والتحقق بمحبة النبي ، والاتصاف بخلقه الكريم صلى الله عليه وسلم .

والوظيفة الأخرى للذكر وظيفة عرفانية ، من حيث إنه وسيلة الذاكر إلى المعرفة بالله ، وبالأمور الإلهية بطريق الذوق والتكشف ، وذلك أن الذاكر متى فنى عن نفسه ، عرج به إلى العالم الأعلى ، وطالع الوجود الحقيقى الأصفى ، وانطبع له نقش الملكوت ، وتجلى له قدس اللاهوت .

والذكر من الناحية النفسية استشعار النفس لوجود الله وعظمته فى كل آن ، وارتياحها بتسليم الأمر إليه تعالى ، فيتخلص الذاكر بذلك عن جميع أحزانه ، كيف لا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبى بكر الصديق وهما فى الغار « لا تحزن إن الله معنا » ، فكيف يكون مع المعية لله سبحانه حزن ؟ !

إن استشعار الإنسان لعظمة الله وتفويض الأمر إليه ، يعطيان الصوفى قدرة على مواجهة أعباء الحياة ونوائبها ، ولنضرب لذلك أمثالا من السنة النبوية :

— عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم المسجد ، فإذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو أمامة . فقال : يا أبا أمامة مالى أراك جالسا فى المسجد فى غير وقت صلاة ؟ قال : هموم لزمتنى وديون يا رسول الله ! قال : أفلا أعلمك كلاما إذا قلته أذهب الله همك وقضى عنك دينك ؟ قال : قلت : بلى ! يا رسول الله ! قال : قل إذا أصبحت وإذا أمسيت : اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ،

وأعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدّيْن وقهر الرجال » .

وورد فى السنة أن الإنسان إذا أصابه الكرب أو الهم أو الغم أو الحزن يقول هذا الدعاء : « لا إله إلا الله الكريمُ العظيمُ ، سبحانه ، تبارك الله رب العرش العظيم ، الحمد لله رب العالمين ، توكلت على الحى الذى لا يموت . الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ، ولم يكن له شريك فى الملك ، ولم يكن له ولى من الذُل وكبِّرْه تكبيرا » ، اللهم رحمتك أرجو فلا تكلنى إلى نفسى طرفة عين ، واصلح لى شأنى كله ، لا إله إلا أنت . يا حى يا قيوم برحمتك استغيث ، لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين ، اللهم إنى عبدك ابن عبدك ابن أمتك ، ناصيتى بيدك ، ماضٍ فىّ حكمك ، عدل فىّ قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو أنزلته فىّ كتابك ، أو علمته أحدا من خلقك ، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن ربيع قلبى ، ونور بصرى ، وجلاء حُزْنى ، وذهابَ همى ، لا حول ولا قوة إلا بالله » .

— وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى معاذ يعزيه فى ابنه : « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى معاذ بن جبل : سلام عليك فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو . أما بعد فأعظم الله لك الأجر ، وألهمك الصبر ، ورزقنا وإياك الشكر ، فإن أنفسنا وأموالنا وأهلينا وأولادنا من مواهب الله عز وجل الهنية ، وعواريه المستودعة ، نمتع بها إلى أجل معدود ، ويقبضها لوقت معلوم . ثم افترض علينا الشكر اذا أعطى ، والصبرَ اذا ابتلى ، وكان ابنك من مواهب الله الهنية ، وعواريه المستودعة ، متعك به فى غبطة وسرور ، وقبضه منك بأجر كثير : الصلاة والرحمة والهدى إن احتسبت ، فاصبر ولا يحبط جزعُك أجرَك فتندم ، واعلم أن الجزع لا يرد شيئاً ولا يدفع حزنا ، وما هو نازل فكأن قدْ ، والسلام » .

ومن أجمل ما يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الدعاء ، ما رواه عبد الله ابن عباس قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يتهجد قال :

اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمدُ لكَ ملك

السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت الحق ، ووعدك الحق ، ولقاؤك حق ، وقولك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، والنبيون حق ، ومحمد صلى الله عليه وسلم حق ، والساعة حق . اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت ، وإليك حاكمت ، فاغفرلى ما قدمتُ وما أخرتُ ، وما أسررتُ وما أعلنت ، وما أنت أعلم به منى . أنت المقدم وأنت المؤخر ، لا إله إلا أنت ، ولا حول ولا قوة الا بالله » .

هذه كلها شواهد صدق نتبين منها أن معنى الذكر فى الإسلام هو التوجه بالقلب إلى الله سبحانه ، وإظهار العبودية لخالق الأكوان ، وهو بهذا عبادة إسلامية هدفها التخلى والتحلى والتجلى ، التخلى عن رديء الأخلاق ، والتحلى بمكارمها ، والتجلى بشهود عظمة الله فى كل وقت من الأوقات .

لذلك اهتم الصوفية فى الإسلام بعبادة الذكر ، والأدب الصوفى حافل بالكثير من الأدعية والمناجيات التى يتعبد بها الصوفية ويعبرون فيها عن أذواقهم ومواجيدهم فى صلتهم الروحية بربهم .

وقد اخترت فقرات من مناجاة ابن عطا الله السكندرى كشاهد على ما نقول من عناية الصوفية بأدب الذكر والمناجاة ، فلنستمع إلى ابن عطاء الله قائلا فى مناجاته لله عز وجل :

إلهى أنا الفقير فى غناى فكيف لا أكون فقيرا فى فقرى ؟

إلهى أنا الجاهل فى علمى فكيف لا أكون جهولا فى جهلى ؟

إلهى إن اختلاف تدبيرك ، وسرعة حلول مقاديرك منعا عبادك العارفين بك عن السكون إلى عطاء واليأس منك فى بلاء .

إلهى منى ما يليق بلؤمى ومنك ما يليق بكرمك .

ثم يمضى فى مناجاته الجميلة معبرا عن أدق أذواقه وأروع أحواله فيقول عن معرفته بالله بطريق الذوق لا الاستدلال :

إلهى كيف يستدل عليك بما هو فى وجوده مفتقر إليك ؟ أيكون لغيرك من من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك ؟ متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك ، ومتى بعدت حتى تكون الآثار هى التى توصل اليك ؟

ثم تظهر قوته البلاغية حين يعبر بعبارات لا تزال تردد على الألسن إلى يومنا هذا فيقول :

« إلهى هذا ذلى ظاهر بين يديك ، وهذا حالى لا يخفى عليك ، منك أطلب الوصول إليك ، وبك أستدل عليك ، فاهدنى بنورك إليك وأقمنى بصدق العبودية بين يديك » .

ثم يعبر عن إسقاط تدبيره مع الله واختياره بعبارات فيها خشوع الصوفى العابد فيقول :

« إلهى اغننى بتدبيرك عن تدبيرى ، وباختيارك عن اختيارى ، وأوقفنى على مراكز اضطرارى . .

إلهى بك أستنصر فانصرنى ، وعليك أتوكل فلا تكلنى ، وإياك أسأل فلا تخيبنى ، وفى فضلك أرغب فلا تحرمنى ، ولجنابك أنتسب فلا تبعدنى ، وببابك أقف فلا تطردنى » .

ويعبر بعد هذا عن معانى المعرفة والحب والأنس بالله ، فيقول فى عبارات لم أر أقوى منها فيما رأيت للصوفية :

« أنت الذى أشرقت الأنوار فى قلوب أوليائك حتى عرفوك ووحدوك ، وأنت الذى أزلت الأغيار من قلوب أحبابك حتى لم يحبوا سواك ؛ ولم يلجأوا إلى غيرك . أنت المؤنس لهم حيث أوحشتهم العوالم ، وأنت الذى هديتهم حتى استبانت لهم المعالم ! ماذا وجد من فقدك ؛ وما الذى فقد من وجدك » .

وعلى هذه الوتيرة يمضى الى نهاية مناجاته معبرا عن أحواله الصوفية تعبيراً صادقاً فى عذوبة ورقة لهما وقع أى وقع فى قلوب المتعبدين من السالكين إلى الله .

تحضير الأرواح

والتصوف والتحلل من الشريعة

للدكتور عبد الحليم محمود

استاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

فى كل ميدان من الميادين نجد الأدعياء ، نجدهم فى الميدان الدينى ، وفى الميدان السياسى ، وفى الميدان العلمى ونجدهم كذلك فى ميدان التصوف .

وهدف هؤلاء الأدعياء معروف : إنه الاستفادة من أقصر الطرق .

وكما لا يضر الدين ، ولا يضر العلم ، أن ينتسب إليه الأدعياء المزيفون ، كذلك الأمر فيما يتعلق بالتصوف

وكما أن للدين وللعلم حقائق معروفة ، وسمات معينة ، وحدودا من شأنها أن تظهر زيف المزيفين وباطل المبطلين ، كذلك الأمر ، فى الجانب الصوفى .

نقول هذا بمناسبة ما سمعناه حديثا عن بدعة ضالة أخذت تتسرب إلى بعض النفوس التى لم تتعمق الجانب الدينى عموما ، ولا الجانب الصوفى خصوصا .

هذه البدعة ترى أن الشخص الذى وصل إلى مرتبة معينة من المعرفة تسقط عنه التكاليف الشرعية ، فليس عليه صلاة ولا زكاة ولا حج . . . ولا غير ذلك مما يلتزمه المسلمون !!

ومن المؤسف أن تكون هذه الفكرة قد نشأت أول ما نشأت — فى العصر الحاضر — بين رجال درسوا القانون والتشريع : يزعمون أنهم وصلوا إلى درجة من المعرفة الصوفية العليا ، وإلى حد لا تجب عليهم فيه التكاليف الشرعية .

وإذا بحثت عن مصدر هذه المعرفة التى وصلتهم فسترى عجبا عجابا ، ستعلم أن مصدر هذه المعرفة : إنما هو الأرواح التى يستحضرونها . فتلبس فيما يزعمون

جسم الوسيط وتتقمصه ، وتكشف لهم عن الغيب من أزله إلى أبده ومن بدايته إلى نهايته ، ومن مشرقه إلى مغربه !!

وقد انتشرت بدعة تحضير الأرواح فى وسطهم ، يتحدثون عنها مصبحين وممسين ، حتى لقد أصبحت دينهم الذى لا يدينون بغيره ، ولا يتلقون الوحى عن سواه . وأصبحت كلمة الأرواح عندهم ، تحل محل القرآن الكريم والسنة المطهرة.

ومن الغريب أنهم يدعون انتسابهم إلى التصوف ، ويزعمون أنهم من كبار الصوفية ، ومن أساطين العارفين ، ومن عباقرة الملهمين .

وقد بلغ الأمر بأحدهم أن زعم . فى فترة من الفترات ، أنه من كبار الأولياء ، ثم لم يكفه ذلك ، فزعم أنه رسول ملهم ، ثم تجاوز ذلك إلى أنه عيسى عليه السلام ، ثم كان فيما بعد محمدا ، صلى الله عليه وسلم ، ثم تخلص من البشرية جملة فزعم لأخصائه أن الألوهية حلت فيه ، والأرواح التى يستحضرها تؤيده فى كل ما يزعم ولا ترى هذه الأرواح ، كما لا يرى هو ، فى ذلك شذوذا ولا تناقضا وصدق الله تعالى ، إذ يقول فيه وفى أمثاله ممن يتصلون بالجن ، وينحرفون عن سواء السبيل .

« وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقا » .

ولعلك تتساءل . هل بين تحضير الأرواح والتصوف من صلة ؟

وجواب رجال التصوف فى ذلك حاسم قاطع .

ليس هناك من صلة بين تحضير الأرواح والتصوف ، اللهم إلا إذا كانت هناك صلة بين المتناقضات .

إن رجال التصوف يعتبرون تحضير الأرواح عملة زائفة ، لأنها تعامل مع الجن والشياطين !! ويتذكرون فى هذه المناسبات قول الله تعالى .

« هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ؟ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ، يُلْقُونَ السَّمْعَ ، وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ » .

وقوله تعالى :

« وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ، وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ » .

وليس من غرضنا هنا أن نتحدث عن تحضير الأرواح ، كظاهرة خداعة ، وليس من غرضنا أن نتحدث عن التهريج والزيف والضلال والانحراف الذى يسود الأوساط التى تعمل على ترويجه ، وليس من همنا ، أن نبين نشأتها التاريخية فى الغرب بين الأوساط اليهودية ، التى روجت لها ، وأنفقت فى سبيل نشرها الأموال الطائلة ، لأغراض وأهداف يعرفها المحيطون بسر انتشار هذه الدعوة : « تحضير الأرواح » .

إن غرضنا الآن إنما هو بيان موقف الصوفية من مسألة : « إسقاط التكاليف الشرعية » ، وهى مسألة لم تنشأ بين بعض من يزعم التصوف فى العصر الحديث ، وليس لهم حتى فضل السبق فى الباطل ، إن كان السبق فى الباطل له فضل .

إنها ضلالة قديمة نشأت فى أوساط متحللة انتسبت إلى التصوف انتسابا باطلا وحاربها ممثلو التصوف فى كل عصر وفى كل بيئة .

ومما لا شك فيه أن القول الفصل فى كل مشكلة من المشكلات إنما يرجع فيه إلى الذين يمثلون الموضوع الذى تنتسب إليه المشكلة .

وإذا رجعنا إلى زعماء التصوف الذين لا يختلف فى زعامتهم اثنان ، نجدهم - سواء فى ذلك القدماء منهم والمحدثون - ينكرون الفكرة إنكارا تاما ، ويرونها زيفا وضلالا وانسلاخا عن الدين بالكلية .

وسنتحدث عن آراء بعض القدماء فى الموضوع ، ثم نفصل ، نوعا ما ، رأى الشيخ عبد الواحد يحيى ، وهو زعيم الصوفية فى العصر الحديث دون منازع .

قال أبو يزيد البسطامى لأحد جلسائه :

« قم بنا حتى ننظر إلى هذا الرجل الذى قد شهر نفسه بالولاية - وكان رجلا مشهورا بالزهد - فمضينا إليه ، فلما خرج من بيته ودخل المسجد ، رمى ببصاقة تجاه القبلة ، فانصرف أبو يزيد ولم يسلم عليه ، وقال : « هذا غير مأمون على

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكيف يكون مأمونا على ما يدعيه ؟! » .

ومن كلام أبي يزيد :

« ولو نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات ، حتى يرتقى فى الهواء فلا تغتروا به ، حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهى ، وحفظ الحدود ، وأداء الشريعة ؟ » .

ويقول سهل التسترى معبرا عن أصول التصوف : « أصول طريقنا سبعة : التمسك بالكتاب ، والاقتداء بالسنة ، وأكل الحلال ، وكف الأذى ، وتجنب المعاصى ، ولزوم التوبة ، وأداء الحقوق » .

ويقول الجنيد — سيد هذه الطائفة وإمامهم على حد تعبير القشيرى :

« من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدى به فى هذا الأمر ؛ لأن علمنا هذا مقيد بأصول الكتاب والسنة » .

وقال :

« علمنا هذا مشيد بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وقال :

الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر الرسول عليه الصلاة والسلام واتبع سنته ولزم طريقته » .

وذكر رجل المعرفة أمام الجنيد وقال .

« أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات من باب البر والتقرب إلى الله عز وجل » فقال الجنيد :

« إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال ، وهو عندى عظيمة ، والذى يسرق ويزنى أحسن حالا من الذى يقول هذا » .

فإذا ما وصلنا إلى الإمام الغزالى ، فإننا نجده يقول فى شىء من التفصيل ، فيه دقة ، وفيه استدلال غاية فى القوة :

« وأعلم أن سالك سبيل الله تعالى ، قليل ، والمدعى فيه كثير ، ونحن نعرفك علامتين له :

العلامة الأولى : أن تكون جميع أفعاله الاختيارية موزونة بميزان الشرع ، موقوفة على توقيفاته إيرادا وإصدارا ، وإقداما وإحجاما ، إذ لا يمكن سلوك هذا السبيل إلا بعد التلبس بمكارم الشريعة كلها ، ولا يصل فيه إلا من واظب على جملة من النوافل ، فكيف يصل إليه من أهمل الفرائض ؟!!

فإن قلت : فهل تنتهى رتبة السالك إلى الحد الذى ينحط عنه فى بعض وظائف العبادات ، ولا يضره بعض المحظورات ، كما نقل عن بعض المشايخ من التساهل فى هذه الأمور ؟

وأقول لك : اعلم أن هذا عين الغرور ؛ وإن المحققين قالوا :

« لو رأيت إنسانا يطير فى الهواء . ويمشى على الماء ، وهو يتعاطى أمراً يخالف الشرع ، فاعلم أنه شيطان » ، وهو الحق .

فاذا ما انتهينا أخيرا إلى أبى الحسن الشاذلى ، رضى الله عنه ، فاننا نجده يقول:

« إذا تعارض كشفك مع الكتاب والسنة فتمسك بالكتاب والسنة ودع الكشف ، وقل لنفسك : إن الله تعالى ضمن لى العصمه فى الكتاب والسنة ، ولم يضمنها فى جانب الكشف ، ولا الإلهام ، ولا المشاهدة ، إلا بعد عرضه على الكتاب والسنة »

والصوفية يتبعون فى كل هذا ، النصوص القرآنية والسنة القولية والعملية للرسول صلى الله عليه وسلم ، وهم يعلمون لا شك البديهيات التاريخية : من أن الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، كان المثل الأعلى فى أداء الشعائر إلى آخر لحظة من حياته الطاهرة .

هذا رأى القدماء وسنتحدث عن رأى الشيخ عبد الواحد فى كلمة تالية إن شاء الله تعالى ، وخيرما نختم به هذه الكلمة الآن الحديث النبوى الكريم :

« سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن قوم تركوا العمل بالدين وأحسنوا الظن فى الله . فقال : كذبوا ، لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل » .

عرض وتحليل كتاب

إنسانيات محمد

للأستاذ خالد محمد خالد

بقلم الأستاذ محمد لبيب البوهى

الأستاذ خالد محمد خالد كاتب إسلامى مبدع . . ومهما اختلفت وجهات النظر فى بعض ماجاء بكتابه الأول . . فإن له خصائصه التى يتميز بها . . وله معجبون كثيرون يحبون أن يقرأوا له . . ومن هذه الخصائص عصرية الأسلوب . . والاحتفال بالألفاظ المشرقة التى يلتمع ضياؤها من ثنايا كتابته . .

وإننى لمدين له بكثير من البهجة التى ملأت بها بعض ليالى رمضان حين عكفت على كتابه البديع الأخير إنسانيات محمد . .

وقبل أن أتناول الموضوع بالعرض . . أشير إلى روعة مثل هذه الأساليب العصرية فى دفع طبقات جديدة من القراء إلى الكتب الدينية إن الأستاذ خالد محمد خالد تناول الموضوع كقصة مقسّمة إلى فصول حول إنسانيات الرسول . . وجعل عناوينها على التوالى :

الرحمة مهجته .. العدل شريعته .. الحب فطرته . . السمو حرفته . . مشاكل الناس عيادته .

* * *

يقول المؤلف إن الرحمة فى أخف تكاليفها . . وفى أيسر صورها . . تكنس من طريق المجهول كل الكوارث المخبوءة . . وتغسل عن الإنسان كل أوزاره وتضع عنه كل أثقاله . . وأن كل صنيعة مهما تكن يسيرة . تدفع عن صاحبها وبالا كبيراً . . . وكما قال الرسول :

صنائع المعروف، تقى مصارع السوء

ويسوق لذلك مشهداً تتجلى فيه الرحمة .

« أتى الله بعبد من عباده ، كان قد آتاه مالا . . فقال له : ماذا عملت فى الدنيا ؟ ؟ قال : يارب . آتيتنى مالا ، فكنت أبايع الناس ، وكان من خلقى الجواز - أى التسامح - فكنت أيسر على الموسر ، وأنظر المعسر ، فقال الله تعالى : أنا أحق بذلك منك . . تجاوزوا عن عبدى » .

« إن الرسول يركز الرحمة تركيزاً شديداً كلما اشتدت الحاجة إليها « من يسر على معسر فى الدنيا يسر الله عليه فى الآخرة والله فى عون العبد . ما كان العبد فى عون أخيه . . » .

ويفلسف الرسول العظيم الرحمة فلسفة تسمو بها فوق الفضائل الإنسانية كلها - وتجعل كل عمل رحيم عبادة من أزكى العبادات . . وأعظم رحمة هى تحرير الناس من الخوف قدر المستطاع . . إن الخوف غول يلتهم سكينة الناس وأمنهم . .

أما الخوف من الله فما كان محمد وهو يدعو إلى فضائل يشق على الأنفس فعلها أن يستبعده من بين وسائل تربيته . سيما فى تلك الأزمان البعيدة التى كان الخوف فيها من أهم وسائل الزجر والتربية والتقويم .

ولكن محمداً استطاع أن يقيم إلى جوار التخويف من عذاب الله . الرجاء فى رحمته . .

« أذنب عبد ذنبا ، فقال : اللهم اغفر لى ذنبى . فقال الله تبارك وتعالى : علم عبدى أن له ربا يغفر ذنبه ؟ . . قد غفرت له . . ثم عاد فأذنب فقال أى رب : اغفر لى ذنبى ، فقال تبارك وتعالى : علم عبدى أن له ربا يغفر ذنبه ؟ - قد غفرت له - ثم عاد فأذنب ذنبا فقال أى رب : اغفر لى ذنبى فقال تبارك وتعالى : علم عبدى أن له ربا يغفر ذنبه . قد غفرت لعبدى . فليفعل ما شاء . . » .

إن الإنسان الذى صوره الرسول فى هذا الحديث لم يكن فى رجعه المتكرر للخطيئة سوى صورة لنا جميعاً . . صورة للضعف البشرى الذى يسلمنا لأهواء النفس .

وإنه ليتقزز من الخطأ .

ويقول رب . اغفر لى . . ثم يعاود الهوى . . ثم يعود للرشد وهكذا رحلة دائبة بين الخير والشر . . ومع هذا فإن مجرد إحساسه بالخطأ . يسلكه فى رحمة الله .

وإن الرسول عليه السلام . ليشير

إلى باب عظيم من أبواب الرحمة . حقوق الجار فيقول « وإذا استعانك أعنته ، وإذا استقرضك اقرضته ، وإذا افتقر عدت عليه ، وإذا مرض عدته ، وإذا أصابه خير هنأته ، وإذا أصابته مصيبة عزيته ، وإذا مات اتبعت جنازته ، ولا تستطل عليه بالبنيان فتحجب عنه الريح إلا بإذنه ، ولا تؤذه بقتار قدرك إلا أن تغرف له منها . وإن اشتريت فاكهة فاهد له ، فإن لم تفعل فأدخلها سراً ، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ... » .

* * *

إنها إنسانية القلب الكبير . . إن محمداً يتعقب قسوة القلب فى كل مجال لها . . وهو حريص على أن يحرر الأحياء من مخاوفهم ... وهو يرسم الطريق للمجتمع المتعاون المتجاب وينفى عنه كل مايفت من عضده وينهى عن ترويع الإنسان أخاه ولا يأتفه مظاهر الترويع .

ويطارد من أجل ذلك . النميمة .. والغيبة . . والبهتان .

« شرار عباد الله ، المشاءون بالنميمة . . المفرقون بين الأحبة . . الملتمسون للبرآء العيب .

ولا تقف رحمته عن الإنسان . . إنه يستمع إلى شكاة الحيوان بالإحساس الرحيم المرهف وكأنما هذه الشكاة الصامتة من الحيوان نداء النجدة لكل طالب رحمة .

« قرصت نملة نبيا من الأنبياء . . فأمر بقرية النمل فحرقت ، فأوحى الله تعالى إليه : أن قرصتك نملة . : أحرقت أمة من الأمم تسبح ... » .

إن الإنسانية السامية تسمى جماعة النمل أمة . . أمة تهديها غريزتها إلى أن لها بارئا خلاقا فهى تسبح عبده .

* * *

بل إنه حين يأمر بقتل حشرة سامة تفترس الناس بلدغها . . يجعل المهارة فى قتلها مرادفة للرحمة بها . ويرجو الثواب من ربه لمن يجهز عليها فى غير إيلام لها .

« من قتل وزغة فى أول ضربة . كتبت له مائة حسنة . . وفى الثانية دون ذلك .. وفى الثالثة دون ذلك .. »

هذه لمحات مشرقة من رحمة النبى بالناس وبالأحياء جميعا .

* * *

وفى باب العدل يقول المؤلف . .

إن التمايز أشد الظلم وقاحة فالذى يزعم لنفسه مكانا خاصا فوق الناس . إنما ينتحل ماليس له بحق .. وإنما يتعبدهم لشهوة الصلف والغرور الكاذب . ثم هو قبل هذا وبعد هذا يضع نفسه حيث تغلبه نفسه . . وحيث يقوده هواه إلى ارتكاب كل الآثام الباغية التى هى افراز حتمى لإحساسه الخاطئ بالتمايز :. وبالاستعلاء .. وبالهيمنة ..

ومحمد الإنسان يعلم هذا . . وليس فى طبيعته إلا الهيام الشديد بالعدل والإيمان به كفضيلة . . وكضرورة .

من أجل هذا طهر نفسه تطهيرا من كل شعور بالتعالى . . وتنازل فى نبل عظيم عن كل امتيازات تفوقه العظيم فى سلوكه كرسول وقائد ، ينبذ التمايز ويرفضه . .

كما أنه يرفض التمايز أيضاً فى سلوكه كصديق فهو يشارك أصحابه فى إعداد الطعام ويخص نفسه بجمع الحطب .

يقول له أعرابى . . اعدل يا محمد

فيبتسم ابتسامة المتهلل ويجيب الرجل

« ويحك ، فمن يعدل إن لم أعدل »

لايقول هذا متباهيا ولا محتالا .. بل مذكرا الناس بحقهم فى أن يتوقعوا منه أقصى فرائض العدالة - وفى أن يحاسبوه عليها إذا عن لهم ما يقتضى الحساب . .

انه ينظر إلى الظلم كخطيئة لا تعدلها خطيئة أخرى فى خطايا البشر فيقول:

« دعوة الظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء . . ويقول الرب : وعزتى لأنصرنك ولو بعد حين . . . . »

والظلم عند محمد يأكل فضائل الظالم . . ويرعى حسناته كما ترعى النار الهشيم . إن الظالم نفسه بعض ضحايا ظلمه .. إن الظالم بعمله هذا يظلم نفسه والظلم يتخذ أشكالا شتى .

ظلم بالفعل . . كالأعمال التى فيها إهدار للحقوق .

وظلم بالقول . . كالإهانة . . والإشارة النابية .

وظلم بالشعور .. كالحسد والحقد .

ومحمد عليه الصلاة والسلام . . يحيط بهذه الأشكال جميعاً ويكافحها فى ولاء عظيم للعدل .

والظن أيضاً نوع من الظلم . . وهو أكذب الحديث . .

« إنك إن اتبعت عورات المسلمين أفسدتهم » .

والظن عند النبي لا يشكل آفة سلبية . بل هو آفة إيجابية لها فى الإثم والعدوان دور إيجابى .

* * *

وفى حديث المؤلف عن الفطرة المحمدية فى الحب يقول :

محمد محب ودود . . أطاع الله كثيراً لأنه أحبه كثيراً . .

وبر الناس كثيراً لأنه يحبهم كثيراً . . وأقبل على الفضائل والواجبات جذلان مبتهجا . . لأنه أحبها . . وأحب من كل قلبه الطهر والنقاء وهذا هو سر عظمته . . إنه أحب عظائم الأمور . . ومارسها فى شغف عظيم . . ممارسة محب مفطور . . لا ممارسة مكلف مأمور ووراء كل سلوكه ومواقفه وحياته نجد الحب .

إذا سجد وأطال السجود . . وسمع وجيب قلبه . . ونشيج تضرعه وبكائه ، فذاك لأنه فى غمرة شوق جارف ، ومحبة آخذة .

ولهذا كان ينتظر الصلاة على شوق . فإذا جاء ميعادها قال لمؤذنه : أرحنا بها . لا أرحنا منها .

والواجبات عنده هواية . . ذلك لأن الحب ليس عنده شهوة بل هو فطرة

ولذلك لم تقع عليه عين إلا أحبته . . وكان يجعل الحب أساس الإيمان

« والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا . ولا تؤمنوا حتى تحابوا ... »

والحب عند النبي يمثل القاعدة الراسخة لسلوكه . . وحين تفرض عليه الظروف القاهرة أن يبغض بعض الناس . فإن هذا البغض لا ينفصل عن قاعدة الحب ذاتها

فهو مثلا يحب الحق وهذا الحق يقتضيه أن يبغض الباطل وهو يحب العدل وذلك يتطلب منه أن يكره الظلم

على أن بغضاءه هذه لم تكن ذات أصالة فى طبيعته ولا فى سلوكه بل مجرد سحابة رقيقة عابرة

* * *

تلك لمحات خاطفة من كتاب قيم . . لم نستطع أن نثبت منها إلا بعض ما يسمح به المجال . . إنه كتاب يحوى بين دفتيه ثروة من المعانى التى تعمق فى نفس الإنسان صلته بمحمد الإنسان العظيم . . والمشرع العظيم . والعادل العظيم . . والمحب العظيم

ذلك هو ديننا

روت كتب الصحاح أن النبي صلوات الله وسلامه عليه ، وعظ الناس يوما ، فذكر القيامة وأهوالها ، فرق الناس وبكوا ، وطاف بالقلوب طائف من الزهد فى الدنيا ، فاجتمع عشرة فى بيت عثمان بن مظعون وهم :

أبو بكر . وعلى ، وابن مسعود ، وعبد الله بن عمرو بن العاص وأبو ذر ، وسالم مولى أبى حذيفة ، والمقداد بن الأسود ، وسلمان الفارسى ، ومعقل بن مقرن ، واتفقوا على أن يترهبوا ويلبسوا المسوح ، ويصوموا الدهر ، ويقوموا الليل ، ولا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم والودك ، لا يقربوا النساء والطيب ، فبلغ ذلك رسول الله صلوات الله وسلامه عليه . فقال لهم :

ألم أنبأ أنكم اتفقتم على كذا وكذا ؟ قالوا : بلى ، وما أردنا الا خيرا فقال عليه السلام :

إنى لم آمر بذلك ، ثم قال : إن لأنفسكم عليكم حقا ، فصوموا وافطروا ، وقوموا وناموا ، فانى أقوم وأنام ، وأصوم وأفطر ، وآكل اللحم والدسم ، وآتى النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى . ثم خطب فقال :

مابال أقوام حرموا الطعام والطيب والنوم وشهوات الدنيا ، أما انى لست آمركم أن تكونوا قسيسين ورهباناً فإنه ليس فى دينى ترك اللحم ولا اتخاذ الصوامع ، فإن رياضة أمتى الصوم ، ورهبانيتهم الجهاد ، اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وحجوا ، واعتمروا ، وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وصوموا رمضان واستقيموا يستقم لكم أمركم ، فإنما هلك من كان قبلكم بالتشديد ، شددوا فشدد الله عليهم .

الحقيقة المحمدية والعلم الحديث

مع علم النفس : السعادة والإنسانية .

بقلم الأستاذ : حسنى طه شكيان

مرت بنا مقاييس السعادة فى نفس الإنسان كما يراها علماء النفس ، ولا سيما فى المدرسة الإنجليزية فالسعيد - حقا - من وسع الإنسانية حدبا وإشفاقاً ، وقدم لها من ذات نفسه برا وفضلاً وإسعافاً ، وتلك رسالة المصلحين فى الحياة . . . وفيما يقدمون يتفاوتون ..

وقد وعدنا - بنور توفيق الله - أن نلتقى مع إنسان الحياة الأعظم محمد الكريم فى صفحته الإنسانية بحسب مقاييس الناس لنرى أين تقع من رسالة محمد وشخصيته . . واليوم موعدنا بإلهام الله -

إن أظهر جوانب النفس الإنسانية عند المرء حينما تتجه إلى نواحى الضعف البشرى عند الناس وبقدر ما تلقى منه من عناية وحدب وإشفاق وتوجيه ، بقدر ما يعلن عن ذات نفسه ...

وقائمة الضعف والنقص البشرى طويلة تجمعها كلمتا الآلام والآثام ... الآلام من جوع وعرى ، وفقر وكرب ومرض وغم ويتم وثكل ، وترمّل وعجز ، وغفلة ونسيان ، وجهل وجبن وكبر وغرور ، والآثام من عدوان وبغى ، وانتقاص للحقوق أو إهدار للحرمات وأول ما نلقاه فى صحيفة الإنسان الكامل استعاذته بالله العظيم من كل هـذه الشرور وتلك الآلام استعاذة واثق بعون الله صاحب خزائن الرحمة فى الأرض وفى السموات فهو المرجو لكل بر ، والملجأ من كل ألم :

« اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجبن

والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال . . . اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والفقر ، وأعوذ بك من عذاب القبر . لا إله إلا أنت .. اللهم أنى أعوذ بك أن أقول زوراً . أو أغشى فجوراً أو أكون بك مغروراً أعوذ بك من فتنة المحيا والممات . . . أعوذ بك من زوال النعمة ومن عضال الداء وشماتة الأعداء . . . أعوذ بك من المأثم والمغرم . . أعوذ بك من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا أعوذ برضاك من سخطك، وبعفوك من عقوبتك ... أعوذ منك لا أحصى ثناء عليك ... وهكذا شمل كل جوانب الضعف والنقص البشرى فى استعاذته.

وهكذا يعلم الإنسان أن يلجأ إلى قوة الوجود العليا ، القهار على كل شىء ومصدر الرحمة والنعمة لكل شىء فيأوى إلى ركنه وقاية من شرور الحياة ولأوائها ، وانتصارا بسجائب الرحمة والفضل على كل ألم فى موكب الحياة ... وما يزال يرتفع فى هذه الاستعاذة حتى لا يترك بعدها مقالا حين يقول : أعوذ برضاك من سخطك ... أعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك ...

بيد أن الاستعاذة قد لا ترفع قضاء نزل ، أو تمحو نقصا حل ، وهى إنما تمثل جانب القلب والإحساس . فأين جانب العمل والإخلاص ؟ . . حتى تأتى رحمة الله على قدر العمل والنية ؟ ! والواقع الذى ننتظره فى هذا المقام من المصلح أن يعالج هذه النقائص من زوايا ثلاث .

١ — الإحساس النبيل الفياض بالرحمة على ذوى البأساء والضراء ، وتقدير مصابهم .

٢ — التوجيه الكريم للبائسين وذوى النقص أن يتخلوا عن نقائصهم وآلامهم ما وسعهم ذلك ، فى خطة عملية منتجة غير متعسرة ...

٣ — ضرب الأمثلة ـ من ذات نفسه ـ للقادة والمصلحين فى علاج ذلك وإزالة آثاره عن الناس فى رفق وحنو وعزيمة لا تعرف اليأس أو الكلال .

فالأمر لا يكفى فيه جانب المشاركة الوجدانية للآلام والآثام عطفا وتألما وكراهية حتى تصطحب فى ركبها فيضا من العزيمة وقوة الأمل فى كفاحها والقضاء عليها فى النفس البشرية وفى المجتمع كله ...

إن على المصلح القدير أن يقدم لكل غريزة ونزوة إعلاء لا إشباعاً ، وتوجيها للإصلاح لا استهلاكا فى الإفساد ـ كما يرى علم النفس ـ وأن يقدم

لكل نزعة فى الخير توجيها للكمال . فلننظر ذلك فى صفحات محمد الكريم لنرى - مع الحق والإنصاف - أروع نجاح عرفته الإنسانية فى قيادة كريمة حانية لركبها بأدوائها وآلامها نحو السعاد والطأنينة والرجاء . أما بعد الاستعاذة الآنفة من كل شر وألم فيبدأ بهذه المقارنة بين قوى الخير فى الإنسان وجوانب الضعف كلها ؛ إغراء لكل ذى ضعف ونقص أن يتخلص منه ، ولكل ذى قوة أن يستزيد... لنستمع إليه فى بيان من الفهم رصين ، دفاع إلى العمل والأمل ...

« المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفى كل خير أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ، ولا تعجز ، وإن أصابك شىء فلا تقل لو أنى فعلت كذا ، كان كذا ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل . . فإن لو تفتح عمل الشيطان . » أجل إنها لتفتح أبواب العقود واليأس وما أقتل ذلك للحياة فى نفس الإنسان .

فهل رأيت ؟ . إن الضعف كله ، نقيصة كان أو عجزاً ، نزل بالإنسان أو اكتسبه جريرة منه وإثما . . إنه يبعد بالمرء عن حب الله . وإن القوة كلها (ولاحد لها ، للدنيا والآخرة ،) مصدر رفعة الإنسان فى حب الله العظيم ورقيه بين يديه ... فى بدن وعلم وغنى وعافية وحياة وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ... ليتخلصوا من ضعف ، وليستزيدوا من قوة - ولله در المتنبى حين يقول : ولله دار المتنبى .

ولم أر فى عيوب الناس عيبا . . كنقص القادرين على التمام .

بيد أن من جوانب الضعف مالا يمكن التخلص منه كالمرض العضال ، والعجز المقيم والثكل الأليم . فكيف قدم الرسول القائد لهذا وذاك ، لينطلق الركب كله نحو السعادة ؟ !

إننا لو ذهبنا نستقصى لأعيانا البحث ، وحسبنا فى التدليل على الفكرة العامة أن نتخير لها ما يمثلها لدى الرسول العظيم فى سياسته . إحساساً ، ومنطقا وتوجيها وعملا كريما ... لنتخير من النقائص وألوان الضعف - على أسلوب علم النفس - نقيصة ومظهر إعلائها . . ضعفا ومقابل قوته . لنتخير من ذلك :

الفرقة والوحدة . الجهل والمعرفة المرض والعافية . الفقر والغنى . . ثم صفحة من الشرور ومقابلها من أبواب الخير والحق .

الفرقة والوحدة :

الفرقة مصدر كل ضعف للأفراد وفى المجتمع ، سبب كل بلاء ونزاع ، مبعث كل خوف وتربص ، مناط كل تأخر وانحطاط ، مفتح كل استعمار واستعباد .

فكم كان الرسول العظيم صادق الشعور والإحساس حين أدرك ذلك فصوره أدق تصوير فتارة يعتبر الخلاف والفرقة كفراً ؛ وطوراً يقرن ذلك بالدمار والهلاك . وثالثة يضيق أبواب الفرقة ومسار بها من الجدل والتعصب والحقد والأنانية ...

ورابعة يدفع إلى التزود من قوى الوحدة بالإخاء والتعارف ، والتهادى والمودة والصفاء والوفاء ، والتزاور والتجاور .

وخامسة يضرب من ذلك أروع الأمثلة فى منطق رائع ، وعمل رشيد . ولنقرأ كل ذلك فى صفحاته ...

لا تختلفوا . . . فإنما هلك من قبلكم لأنهم اختلفوا على أنبيائهم .

وجاءه أنصارى يقول له . . إن اليهود قد أصابوا وحدة الصف ، وقلب الوحدة بسهام الفرقة والنزاع بعد ما استقر له الأمر فى المدينة . . لقد قال الأنصارى يارسول الله أدرك قومك فقد اختلفوا ، ومازاد الرجل وما استزاده الرسول فهـــو يعرف ما وراء كلمة الاختلاف .. لقد شوهد يجرى إلى الجمع الشتيت ليقول وعينه دامعة ، وقلبه حزين ، وفى نبراته قوة اليقين وإشعاع الرحمة :

أهكذا وأنا بين أظهركم . . لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم وجوه بعض ورقاب بعض ... ، فهل أدركت معى : . أن الفرقة كفر فقتال ودمار ؟ . .

أما دواعيها فحرمة فى شريعته .. « دعوا المراء فإن لا يأتى بخير . . لا عصبية فى الإسلام .. من مات على عصبية فليس منا .. عزمت عليكم أن تتركوا الجدل .. ما هلكت أمة إلا رزقت الجدل .. لا يحل لامرئ مسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث .. المسلم أخو المسلم .. لايخزله ولايحقره ولا يسلمه كل المسلم على المسلم حرام .. دمه وعرضه وماله .. إن دماءكم وأموالكم عليـــكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا .. ألا هل بلغت ؟ . اللهم اشهد . »

ذلك بعض أحساسه الفياض وشعوره بهذا الكابوس الثقيل

بأوزار الإنسانية والمسئول عن بوارها وذلك جانب الضعف المحرم ، والنقص الذى ينبغى التخلص منه .. فأين الوقاية منه ، وأين القيادة نحو القوة فى هذا المقام ؟ .. فلنستمع ، فهناك فيض زاخر .. من القول ومن العمل .. لقد كان أول عمله فى المدنية لتأسيس المدينة الفاضلة أن آخى بين الأوس والخزرج فما عرفوا سلاماً ولا طمأنينة قبل مؤاخاته ـ عليه الصلاة والسلام لهم ، ثم آخى بين المهاجرين والأنصار مؤاخاة لا نظير لها فى التاريخ ، بلغت إلى الحد الذى يقول فيه سعد بن الربيع الأنصارى لأخيه عبدالرحمن بن عوف المهاجرى .. ألست أخى ؟ وأنا أخوك قال : بلى . قال : فهذا مالى لك نصفه وهاتان داران تخير أحداهما ، وهاتان زوجتان اختر أحبهما إلى قلبك أسرحها لك فتبنى بها ؟ . وكان رد الأخ الحريص على سعادة أخيه ، لا المنتهز للفرصة ليغتال حقوقه أن قال له : ياأخى .. بارك الله فيك وفى مالك ودارك وزوجك .. إننى امرؤ تاجر فدلنى على السوق .. فكان بعدئذ من أغنى تجار الجزيرة العربية على الإطلاق ، فهو أعرف بحقوق الناس ، والله لمثله خير معين وموفق وخير حافظ لحقوقه .

ولقد بلغت هذه المؤاخاة أن كان المهاجرى يرث الأنصارى والأنصارى كذلك حتى نسخ ذلك بتشريع المواريث .. ولم يترك الرسول فرصة لجمع الكلمة ، وإشاعة المحبة والصفاء دون أن يسعى لها ويباركها ويزكيها وهو الذى فرح أشد الفرح لأنه اشترك فى صغره فى حلف الفضول فى دار ابن جدعان نصفة للمظلوم ..

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل جاء بشريعة المآخاة بين الناس جميعا أبيضهم وأحمرهم وأسودهم . غنيهم وفقيرهم ، قويهم وضعيفهم ، حاكمهم ومحكومهم ، سادتهم وعبيدهم على السواء لنستمع إليه : « المسلم أخو المسلم ... أيها الناس : إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد . كلكم لآدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربى على أعجمى ، ولا لأعجمى على عربى ، ولا لأبيض على أحمر ، ولا لأحمر على أبيض إلا بالتقوى ... إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

وعمله فى ذلك بين ؛ فقد كان فى صفوف أصحابه الأولى بين يديه : صهيب الرومى ، وسلمان الفارسى ، وبلال العبد

الحبشى ، وعمر بن الخطاب القرشى ، وسعد بن عبادة من الأنصار اليمنى .

خطب بلال عقيلة من بيوت العرب الأشراف فرغبوا عنه ، فشكا ذلك للرسول فغضب وقال : من جاءكم ترضون دينه وخلقه فأنكحوه . . . إنكم إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير ؟ . فكانوا بهذا الزواج سعداء مع فقر بلال ، وعبوديته الأولى ويعلن : « المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم . المسلمون سواسية كأسنان المشط . المؤمن للمؤمن كالبنيا يشد بعضه بعضا .. مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » .

بل إن الجنة حرام على أمته ما لم يتحابوا فى إخاء كريم : لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولن تؤمنوا حتى تحابوا ، ألا أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ . افشوا السلام بينكم .. « وأحسن الإسلام - فى شريعته - أن تطعم الطعام وتقرىء السلام على مَنْ عرفت ومن لم تعرف ؟ والهدية مودة : « تهادوا تحابوا » .

وأبواب الخير عنده وفيرة تغرى بالمودة والتكافل . . الكلمة الطيبة صدقة ، وإماطة الأذى عن الطريق صدقة . . وأن تهش فى وجه أخيك صدقة ، وأن تضع اللقمة فى فم امرأتك صدقة .

« على كل مسلم صدقة . . فإن لم يجد ؟ . فيعمل بيديه وينفع نفسه ويتصدق ، قالوا : فإن لم يستطيع أو لم يفعل ؟ قال : فيعين ذا الحاجة . قالوا فإن لم يفعل ؟ قال : فيأمر بالخير ؟ . قالوا . فإن لم يفعل ؟ قال : فيمسك عن الشر فانه له صدقة .. » ولن يعدم امرؤ أن يصيب من ذلك الخير خيراً

وغير ذلك فيض زاخر : علاجاً للفرقة والخلاف . وإغراء بالوحدة والائتلاف . ودفعاً إلى التعاون والإنصاف ، ورعاية للحقوق ، وبرا بالأصحاب وبالناس .

واستمع إليه فى ختام هذا الضياء الباهر .. الراحمون يرحمهم الرحمن . . ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء » ، وإن دينه وشريعته صلى الله عليه وسلم .. « أن أصل من قطعنى وأعطى من حرمنى وأحسن إلى من أساء إلى .. » وإن دعوته :

« اعمل الخير فى أهله وفى غير أهله إن أصبت أهله ، وإلا فأنت له أهل .. »
وإن أمته : فى توادهم وتعاطفهم كالجسد الواحد .. وكالبنيان .. يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله . ولذلك كانوا خير أمة . . .

الحياة مليئة بالعقبات والآلام ، ولا يتغلب عليها المرء وحده دون عزوة من أهل وعشيرة ، وأصحاب وقبيلة ، فى قرية ومدينة ، وبين دولة وإنانية ...

وقد جاء محمد العظيم يجمع كلمة الناس جميعاً .. فوجه دعوته لهم جميعا ووسعهم بقلبه جميعاً وأنار لهم الحياة جميعا «قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين : « قل يأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا .. وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ولذلك هو واقف على أبواب الخير يدفع الإنسانية إليها ويقودها ، ودون أبواب الشر يغلقها ويذبها عنها يقول فى ذلك : « مثلى ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً فجعل الجنادب والفراش يقعن فيه ، وهو يذبهن عنها . وأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تفلتون من يدى .. »

وضربت الملائكة مثله مع ربه ومع الناس كمثل رسول ملك ، معه مصباح مشرق ذهب لأهل بلدته ، يدعوهم إلى مأدبة الملك ، فمن سار معه سار فى ضياء مصباحه الباهر ، وسعد بمأدبة الملك وصحبته ، ومن تنكب الطريق ضل فهلك ..

ذلكم قلب وسع الإنسانية رحمة وحنانا ، وقدم لها من الخير ما خفف آلامها برا وإسعافا . وقادها نحو السعادة . حضارة الدنيا ، ورقيا فى الأخرة : « فى مقعد صدق عند مليك مقتدر .. »

يقول مستشرق منصف : إذا كان لكل نبي معجزة ، فإن معجزة محمد الكبرى عندى ، والتى لا نظير لها . هو أنه جمع من شتات الأمة العربية المتقاتلة ذات العصبية والحفاء أمة متكافلة فتحت أبواب الدنيا ، ونشرت الإسلام فى ثلثى الكرة الأرضية فى أقل من قرن من الزمان ..

وليس ذلك بعجيب على إنسان عين الوجود ، رحيم الإنسانية الأكبر بأمر ربه « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين .. »

قرار بطرد عبد السلام عمريه

من الطرق الصوفية

قرر المجلس الصوفى الأعلى ، طرد عبد السلام عمريه من عداد الطرق الصوفية وإخطار الجهات المختصة بذلك ، لأخذ التعهد عليه بعدم التدخل فى الشئون الصوفية ، ورفع اللافتات التى كتب عليها اسمه بصفته شيخاً للطريقة المسماة : « الرفاعية العمرية الشرعية » .

وقد جاء فى حيثيات قرار المجلس الأعلى ، أنه قد تبين للمجلس أن المدعو عبد السلام عمريه قد اعترف فى كتبه أنه قد تلقى العهد على يد شيوخه رجال السادة الرفاعية فاعترف بذلك بتبعيته لهم .

وحيث إن الطريقة المسماة ـ الرفاعية العمرية الشرعية ـ لا وجود لها أصلا فى عداد الطرق الصوفية الرسمية ، ولم يعترف بها من جهة الاختصاص وهى : المجلس الصوفى الأعلى .

وحيث إن المدعو عبد السلام عمريه أعطى لنفسه صفة ـ مشيخة الطريقة المذكورة ـ واتخذ لها أماكن متعددة ، ودعا إليها بعض من آنس فيهم الاستجابة إليه .

مع ما فى عمله من خروج على التقاليد ، وارتداد عن العهد ، وتنكر للعرف ، وتمرد على المبادئ والمصطلحات الصوفية .

وتصحيحاً للوقف وتطبيقاً للمواد الأولى والخامسة من لائحة الطرق الصوفية ، وللمواد الرابعة والخامسة من لائحة الإجراءات الداخلية وللمادة الحادية عشرة من الباب الخامس فى أمور عمومية .

قرر المجلس بإجماع الآراء عدم الاعتراف للمدعو عبد السلام عمريه بصفته هذه المدعاة ، وطرده من عداد الطرق الصوفية .

أخبار صوفية

وكيل المشيخة عن بندر شبين

قرر حضرة صاحب السماحة السيد محمد محمود علوان شيخ مشايخ الطرق الصوفية تعيين الأستاذ السيد عوض مجد زلابية وكيلا لمشيخة الطرق الصوفية عن مركز وبندر اشمون منوفية خلفا للمرحوم والده .

وكيل أسوان

أصدر صاحب السماحة السيد محمد محمود علوان شيخ مشايخ الطرق الصوفية قرارا بتعيين السيد عبدالكريم احمد محمد محمود شمت وكيلا للمشيخة الصوفية العامة بمديرية وبندر أسوان

الجمعية التعاونية للبترول
فرع الغازات السائلة

بوتاجاز التعاون

إن فروع الجمعية تنتشر فى جميع أنحاء الجمهورية العربية المتحدة

وهى فى خدمتكم أينما كنتم

أفران من أحجام مختلفة — سخانات من ماركات عالمية — مصابيح

مواقد مسطحة — ثلاجات — دفايات

الهيئة الزراعية المصرية

الوكيل العـــام فى مصر عن :

(شركة فلسكول الكيميائية بأميركا)

VOLSICOL CHEMICAL CORPORATION

تقـــــدم للزراع

مستحلب أندرين ١٩,٥٪

لحماية محصول القطن من فتك الدودة القارضة ، التربس ، دودة الورق ، ديدان اللوز ، الدودة الشوكية .

اســـتعملوا

الأنـــدرين

فهو أحدث المبيدات الحشرية للقضاء على هذه الآفات الخطيرة .

اتصلوا بالهيئة الزراعية المصرية بأرض المعارض بالجزيرة بمصر للحصول على ما يلزمكم من البيانات .

دار القلم بالقاهرة
١٨ شوقي التوفيقية